منهج أهل السنة
في الدعوة إلى الله

تأليف أبي العز الضالعي
محسن بن فاضل بن صالح المنتصر

دار الحديث السلفية للعلوم الشرعية
حضرموت - الحامي

حقوق الطبع محفوظة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الكتاب: منهج أهل السنة في الدعوة إلى الله

اسم المؤلف: محسن بن فاضل بن صالح المنتصر

الطبعة: الأولى

دار النشر: دار الإمام الشافعي للنشر والتوزيع عدن

للتواصل بنا على الأرقام التالية:

٧٧٣١١٣٩٩٠ - ٧٧٠٠١٢٥٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة الكتاب

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ﷺ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

هذه هي المحاضرة مع بعض الإضافات

مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاْعَةِ فِيْ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى

وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ مُحَاضَرَةٍ أَلْقَاهَا أَبُوْ العِزِّ الضَالِعِيِّ فِيْ مَسْجِدِ التَّوْحِيْد فِيْ آلِ الرُبَّاحِ

جَوْلِ حِبَّانِ شَبْوَةَ لِيْلَةِ السَّبْتِ ٢٩/ ٤/ ١٤٤٠هـ الموافق ٦/ يناير / ٢٠١٩م

قَامَ بِتَفْرِيْغِهَا أَبُو مُحَمَّدٍ وَأَبُو أَيُّوْبَ الضَّالِعِيَّان

ثُمَّ قَامَا بِعَرْضِهَا عَلَى المُحَاضِرِ حَيْثُ أَضَافَ إِلَيْهَا بَعْضَ الإِضَافَاتِ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمةالمحاضرة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ ﷺ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعْلَمُوْا أَنَّ خَيْرَ الْحَدِيْثِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُوْرِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

نص المحاضرة مع بعض التعديلات

أَيُّهَا النَّاسُ عَبَادَ اللهِ سَنَتَعَرَّفُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فِيْ هَذِهِ اللَّيْلَةِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ مِنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَلِنَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ الدَّعَوَاتِ تَمْشِيْ عَلَىْ وِفْقِ قَوَاْعِدَ وَأُصُوْلٍ وَضَعَهَا مُؤَسِّسُوْهَا؛ فَالشِّيْعَةُ مَثَلًا تَسِيْرُ عَلَىْ تِلْكَ القَّوَاعِدِ الَّتِيْ وَضَعَهَا مُؤَسِّسُهَاْ الأَوْلُ عَبْدُ اللهِ اْبْنُ سَبَإٍ الْيَهُوْدِيُّ وَالمُرَادُ بِالْشِّيْعَةِ هُنَا: كُلُّ مَنْ شَايَعَ عَلِيَّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ خَاْصَّة، وَقَاْلَ بِالْنَّصِ عَلَىْ إِمَاْمَتِهِ، وَقَصَرَ الإِمَاْمَةَ عَلَىْ آلِ الْبَيْتِ، وَقَاْلَ بِعِصْمَةِ الأَئِمَّةِ مِنَ: الكَبَاْئِرِ، وَالصَّغَاْئِرِ، وَالخَطَأِ، وَقَاْلَ: لَاْ وَلَاْءَ لِعَلِيٍّ إِلَّاْ بِالْبَرَاْءِ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ الخُلَفَاْءِ الَّذِيْنَ فَيْ عَصْرِهِ قَوْلًا وَفِعْلًا، وَعَقِيْدَةً، إِلَّاْ فِيْ حَاْلِ التُّقْيَةِ، وَقَدْ يُثْبِتُ بَعْضُ الزَّيْدِيَّةِ الوَلَاْءَ دُوْنَ البَرَاْءِ.

فَهَذِهِ أُصُوْلُ الشِّيْعَةِ الَّتِيْ يَشْتَرِكُ فِيْهَاْ جَمِيْعُ فِرَقِهِمْ، وَإِنِ اْخْتَلَفَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ عَنِ الأُخْرَىْ فِيْ بَعْضِ المَسَاْئِلِ، فَمَنْ قَاْلَ مِمَنْ يُنْتَسَبُ إِلَىْ الإِسْلَاْمِ بِهَذِهِ الأُصُوْلِ فَهُوَ شِيْعِيٌّ، وَإِنْ خَاْلَفَهُمْ فِيْمَاْ سُوَاْهَا وَمَنْ قَاْلَ بِشِيْءٍ مِنْهَاْ، فَفِيْهِ مِنَ التَّشَيُّعِ بِحَسَبِهِ.

* وَكَذَا وَلِيْدَتُهَا الصُّوْفِيَّةُ فَعِنْدَهَا قَوَاعِدُ وَأُصُوْلٌ وَضَعَهَا مُؤَسِّسُوْهَا وَهُمْ بَعْضُ زُهَّادِ الشِّيْعَةِ قَاْلَ شَيْخُ الإِسْلَاْمِ اْبْنُ تَيْمِيَّةَ وَمَنْ وَاْفَقَهُ: أَنَّ أَوْلَ مَنْ عُرِفَ بَالصُّوْفِيِّ أَبُوْ هَاْشِمٍ الكُوْفِيِّ الصُوْفِيِّ المُتَوَفَّىْ سَنَةَ١٥٠هـ أو ١٦٢هـ وَكَاْنَ مُعَاْصِرًا لِسُفْيَاْنَ الثَّوْرِيِّ ت ١٥٥هـ قَاْلَ عَنْهُ سُفْيَاْنُ: "لَوْلَاْ أَبُوْ هَاْشِمٍ مَاْ عُرِفَتْ

دَقَائِقُ الرِّيَاءِ". وَكَانَ مُعَاصِرًا لِجَعْفَرِ الصَّادِقِ وَيُنْسَبُ إِلَىٰ الشِّيْعَةِ الأَوَائِلِ، وَيُسَمِّيْهِ الشِّيْعَةُ مُخْتَرِعُ الصُّوْفِيَّةِ.

وَمِمَّنْ ذُكِرَ أَنَّهُ مِنْ مُؤَسِّسِيْ الصُّوْفِيَّةِ جَابِرُ بْنُ حَيَّانٍ وَهُوَ صَاحِبُ كِيْمِيَا شِيْعِيٌّ مِنْ أَهْلِ الكُوْفَةِ المُتَوَفَّىٰ سَنَةُ١٦٠هـ تَعْتَبِرُهُ الشِّيْعَةُ مِنْ أَكَابِرِهِمْ، وَالفَلَاسِفَةُ يَنْسِبُوْنَهُ إِلَيْهِمْ وَلَهُ رِسَالَةٌ فِيْ الحُدُوْدِ عَلَى قَوَاعِدَ مَنْطِقِ أُرَسْطُو وَمُصْطَلَحَاتِهِ حَكَمَ عَلَيْهِ أَهْلُ العِلْمِ بِالزَّنْدَقَةِ.

وَمِمَّنْ يُذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ أَوْلُ مَنْ تَسَمَّىٰ بِالصُّوْفِيِّ، عَبْدَكَ الصُّوْفِيِّ ـ عَبْدُ الكَرِيْمِ أَوْ مُحَمَّدُ ـ المُتَوَفَّىٰ سَنَةُ ٢١٠هـ قَالَ الحَارِثُ المُحَاسِبِيُّ أَنَّهُ كَانَ مِنْ طَائِفَةٍ نِصْفُ شِيْعِيَّةٍ تُسَمِّي نَفْسَهَا صُوْفِيَّةً تَأَسَّسَتْ بِالكُوْفَةِ وَقَالَ أَبُو الْحُسَيْن مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمدَ المَلْطِيُّ الْمَعْرُوف بالطَّرائِفِي فِيْ كِتَابِهِ التَّنْبِيْهِ وَالرَدِّ عَلَىٰ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ أَنَّ عَبْدَكَ كَانَ رَأْسُ فِرْقَةٍ مِنْ الزَّنَادِقَةِ عُرِفُوْا بِالعَبْدَكِيَّةِ زَعَمُوْا أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا حَرَامٌ مُحَرَّمٌ لَا يَحِلَّ الْأَخْذُ مِنْهَا إِلَّا الْقُوت مِنْ حِينَ ذَهَبَ أَئِمَّةُ الْعَدْلِ وَلَا تَحِلُّ الدُّنْيَا إِلَّا بِإِمَامٍ عَادِلٍ وَإِلَّا فَهِيَ حرَامٌ وَمُعَامَلَةُ أَهْلِهَا حرَامٌ فَحَلَّ لَكَ أَنْ تَأْخُذَ الْقُوتَ مِنْ الْحَرَامِ مِنْ حَيْثُ كَانَ.

قَالَ صَاحِبُ كِتَابِ عُزْلَةِ بَغْدَادِ: وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ لُقِّبَ بِالصُّوْفِيِّ وَكَانَ هَذَا اللَّفْظُ يَوْمَئِذٍ يَدُلُّ عَلَىٰ بَعْضِ زُهَّادِ الشِّيْعَةِ بِالكُوْفَةِ وَعَلَىٰ رَهْطٍ مِنْ الثَّائِرِيْنَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ.

وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ مَطْعُوْنٌ فِيْ مَذَاْهِبِهِمْ وَعَقَائِدِهِمْ وَرُمِيَ كُلٌّ وَاْحِدٍ مِنْهُمْ بَالفِسْقِ وَالفُجُوْرِ.

* وَكَذَلِكَ المُعْتَزِلَةُ: وَضَعَ لَهُمْ مُؤَسِّسَاْهَا وَاْصِلُ بْنُ عَطَاءِ الغَزَّال وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ خَمْسَةَ أُصُوْلٍ يَسِيْرُوْنَ عَلَيْهَا وَهِيْ :

١- التَّوْحِيْدُ: وَمُرَدَهُمْ بِهِ نَفْيُ صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢- العَدْلُ: وَمُرَدَهُمْ بِهِ نَفْيُ القَدَرِ وَأَنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقِ الشَرَّ وَلَمْ يَقْضِ بِهِ.

٣- الوَعْدُ وَالوَعِيْدُ: وَمُرَادُهُمْ بِهِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىْ اللهِ ثَوَابَ المُطِيْعِيْنَ وَعِقَابَ العَاصِيْنَ وَإِعْوَاضَ الْمُسْتَحِقِّيْنَ.

٤- المَنْزِلَةُ بِيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ: وَمُرَادُهُمْ أَنَّ العَاصِيَ حُكْمُهُ فِيْ الدُّنْيَا أَنَّهُ لَا كَافِرٌ وَلَا مُسْلِمٌ وَأَمَّا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ وَاْفَقُوْا الخَوَارِجَ بِأَنَّهُ خَالِدٌ فِي النَّارِ .

٥- الأَمْرُ بِالمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ: وَمُرَادُهُمْ الخُرُوْجُ عَلَى الحَاكِمِ الفَاسِقِ الظَّالِمِ وَحَمْلِ النَّاسِ عَلَى مَا يُؤْمِنُونَ بِهِ بِالحُجَّةِ وَالبُرْهَانِ أَوْ بِالقُوَّةِ وَالسُّلْطَانِ كَمَا فِيْ مِحْنَةِ القُرْآنِ المَشْهُوْرَةِ الَّتِيْ أَشْعَلَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُؤَادَ المُعْتَزِلِيْ قَاضِي الدَّولَةِ العَبَّاسِيَّةِ، عَلَى الإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَعُلَمَاءِ السُّنَةِ.

* وَكَذَلِكَ الفِرَقُ المُعَاصِرَةُ: كَجَمَاعَةِ الإِخْوَانِ المُسْلِمِيْنَ المَعْرُوفَةِ بِاليَمَنِ بِحِزْبِ الإِصْلَاحِ وَضَعَ لَهُمْ مُؤَسِّسُ الجَمَاعَةِ حَسَنُ البَنَّاءِ قَوَاعِدَ وَأُصُوْلًا يَسِيْرُوْنَ عَلَيْهَا فِيْ دَعْوَتِهِمْ مِنْهَا: نَتَعَاوَنُ فِيْمَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ وَيَعْذُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيْمَا اخْتَلَفْنَا فِيْهِ. وَمِنْهَا: جَمِّعْ ثُمَّ رَبِّي. وَمِنْهَا الدَّعْوَةُ لِلْخُرُوْجِ عَلَىْ الحَاكِمِ المُسْلِمِ .

وَكَذَلِكَ جَمَاعَةُ التَّبْلِيْغِ وَضَعَ لَهَا مُؤَسِّسُ الجَمَاعَةِ مُحَمَّدُ إِلْيَاس قَوَاعِدَ ❊ وَأُصُوْلًا يَسِيْرُوْنَ عَلَيْهَا فِي دَعْوَتِهِمْ مِنْهَا: عَدَمُ التَّعَرُّضِ لِأَمْرَاْضِ الأُمَّةِ. إِظْهَاراً للزُّهْدِ لاسْتِمَالَةِ عَوَاطِفِ النَّاسِ. لِلخُرُوجِ ثَلاثَةَ أَيَامٍ أَوْ أَرْبَعِيْنَ يَوْمًا. أَوْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. وَالدَّعْوَةِ إِلَى السِّتِّ الصِّفَاتِ. وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَعْلُوم.

وَكَذَلِكَ قُلْ فِيْ الحِزْبِ الجَدِيْدِ حِزْبِ البَرَامِكَةِ – المَرْعِيِّيْنَ _ فَعِنْدَهُمْ قَوَاعِدُ وَأُصُوْلٌ يَسِيْرُوْنَ عَلَيْهَا فِيْ دَعْوَتِهِمْ مِنْهَا: ١ – تَشْوِيْهُ دَعْوَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ. ٢ – تَخْبِيْبُ طَلَبَةِ العِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ عَلَى مَشَايِخِهِمْ. ٣ – السَّعْيُ لِسَلْبِ مَسَاجِدِهِمْ. ٤ – تَهْيِئَتُ طَلَبَةِ العِلْمِ لِقَبُوْلِ مَنْهَجِ مَنْ خَرَجَ قَبْلَهُمْ عَنْ مَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ كَأَصْحَابِ جَمْعِيَّةِ الحِكْمَةِ وَالحَسَنِيِّيْنَ وَغَيْرِهِمْ وَالسَّيرُ عَلَى إِثْرِهِمْ.

[مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ]

وَكَذَلِكَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يَسِيْرُوْنَ فِيْ دَعْوَتِهِمْ عَلَىْ وُفِقِ أُصُوْلٍ وَقَوَاعِدٍ جَاءَ بِهَا مُؤَسِّسُ الدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، القُرَشِيِّ العَدْنَانِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهَا:

القَاعِدَةُ الأُولَىْ:

إِنَّهُمْ يَدْعُوْنَ إِلَى اللهِ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىْ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يُوسُف : ١٠٨] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ [الحج : ٦٧] وَقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧﴾ [القَصَص : ٨٧] وَقَوْلِهِ تَعَالَىْ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النَّحل : ١٢٥] وَقَوْلِهِ تَعَالَىْ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فُصِّلَت : ٣٣] فَهَذِهِ هِيَ طَرِيْقَةُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يُوسُف : ١٠٨] وَقَالَ تَعَالَىْ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأَحْزَاب : ٢١] وَفِيْ الحَدِيْثِ «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ" .

وَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْتَثَلَ الْأَمْرَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى رَبِّهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٣﴾ [المُؤْمِنُون : ٧٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشُّورَى : ٥٢] وَنَعَمْ فَقَدْ مَكَثَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيْ مَكَةَ قَبْل بِعْثَتِهِ ثَلَاْثَ عَشَرَةَ سَنَةٍ يَدْعُوْ النَّاسَ فِيْ مَجَامِعِهِمْ وَأَسْوَاقِهِمْ إِلَىْ اللهِ تَعَالَىْ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعُكَاظٍ وَفِيْ مَوَاسِمِ الحَجِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ:

عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ عِبَادٍ، قَالَ: " رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ بِذِي الْمَجَازِ " وَخَلْفَهُ رَجُلٌ أَحْوَلُ، يَقُولُ: لَا يَغْلِبَنَّكُمْ هَذَا؟

عَنْ دِينِكُمْ وَدِينِ آبَائِكُمْ، قُلْتُ لِأَبِي وَأَنَا غُلَامٌ: مَنْ هَذَا الْأَحْوَلُ، الَّذِي يَمْشِي خَلْفَهُ؟ قَالَ: هَذَا عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ" رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ .

وَفِيْ رُوَايَةٍ عَنْهُ: يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا " وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: " أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا " إِلَّا أَنَّ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا غَدِيرَتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ، كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النُّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يُكَذِّبُهُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ،" رَوَاهُ أَحْمَدُ وَهُوَ صَحِيْحٍ لِغَيْرِهِ.

وَفِيْ رُوَايَةٍ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَجُلًا فِي سُوقِ عُكَاظٍ يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا "، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ، فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو جَهْلٍ" رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ.

وَرَوَىْ أَحْمَدُ أَيْضًا بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ عَنْ شَيْخٌ مِنْ بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا يَقُولُ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا "، قَالَ: وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَتَتْرُكُوا "اللَّاتَ وَالْعُزَّى

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكُمْ، قَدْ قَدْ» فَيَقُولُونَ: إِلَّا شَرِيكًا هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ، يَقُولُونَ هَذَا وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَمَّا هَاْجَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَىْ الْمَدِيْنَةِ وَقَبْلُ فَتْحِ مَكَّةَ وَبَعْدَ الْحُدَيْبِيَةِ بَعْثَ بِكتبه إِلَى مُلُوكِ الْآفَاق يَدعُوهُم إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الدُّخُولِ فِي دِيْنِ الإِسْلَاْمِ فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ قَبْلَ مُؤْتَةَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَإِلَى النَّجَاشِيِّ وَإِلَى كُلِّ جَبَّار يَدعُوهُم إِلَى الله عز وجل، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِيِّ الَّذِي صَلَّى عَلَيْهِ .

وَفِيْ الصَّحِيْحَيْنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ، أَخْبَرَهُ مِنْ فِيهِ إِلَى فِيهِ،- وَذَكَرَ قِصَّتَهُ مَعَ هِرَقْلَ وَذَكَرَ أَنَّ هِرَقْلَ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى، فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ " بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ: سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ "وَ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ٦٤] .

وَفِيْ البُخَارِيِّ عَنْ بْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " بَعَثَ بِكِتَابِهِ رَجُلًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ فَدَفَعَهُ عَظِيمُ البَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى، فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ " قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: فَحَسِبْتُ أَنَّ ابْنَ المُسَيِّبِ قَالَ: فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ».

* وَكَذَا كَانَ يَأْمُرُ مَنْ يَبْعَثُ مِنْ الدُّعَاةِ أَنْ يَدْعُوْا إِلَىْ اللهِ تَعَالَىْ فَبَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: ««إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ » كَمَا فِيْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «إِنَّك تَأتي قوما من أهل الْكتاب. فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَإِنْ هُمْ أطاعوا لذَلِك. فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ. فَإِنْ هم أطاعوا لذَلِك فأعلمهم أَن الله قد فرض عَلَيْهِم صَدَقَة تُؤْخَذ من أغنيائهم فَترد فِي فُقَرَائِهِمْ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ. فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَين الله حجاب» مُتَّفق عَلَيْهِ. وَجَاءَ عَنْ مُعَاذٍ نَفْسِهِ.

* وَبَعَثَ عَلِيًا إِلَىْ خَيْبَرَ فَقَالَ لَهُ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»، كَمَا فِيْ حَدِيْثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ

الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهَ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» . فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلهم يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ» . فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله أقاتلهم حَتَّى يَكُونُوا مثلنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

❋ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ قَالَ لَهُ: "إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ" كَمَاْ فِيْ حَدِيْثِ بُرَيدةَ فِي مُسْلِمٍ، فَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ: " اغْزُوَا بسم اللهِ قَاتَلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ اغْزُوَا فَلَا تَغُلُّوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمْثُلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا

فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يُجْرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يُجْرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللهِ الَّذِي يُجْرَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هم أَبَوا فعلهم الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَإِنْ حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي: أَتُصِيبُ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ أَمْ لَا؟ ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ

* وَعَلَىٰ ذَلِكَ قَاتَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَام وحسابهم على الله. إِلَّا أَنَّ مُسْلِمًا لَمْ يَذْكُرْ» إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَام " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

[سُؤَالٌ وَجَوَابُهُ]

س: قَدْ يَقُوْلُ قَائِلٌ: لِمَاذَا اخْتَارَ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ مَنْهَجًا وَفَارَقُوْا جَمِيْعَ الدَّعَوَاتِ؟

جـ: وَالجَوَابُ سَهْلٌ وَهُوَ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ عَلِمُوْا أَنَّهُمْ خَلْقٌ للهِ، عَلَىْ أَرْضِهِ يَسِيْرُوْنَ، وَبِسَمَائِهِ يَسْتَظِلُّوْنَ، وَمِنْ رِزْقِهِ يَأْكُلُوْنَ وَيَشْرَبُوْنَ، مَا شَاءَ اللهُ فَعَلَ بِهِمْ، وَإِنْ لَمْ يَشأْ العِبَادُ، وَمَا لَمْ يَشأْ لَمْ يَقَعَ بِهِمْ، وَإِنْ شَاْءَ العِبَادُ، قَالَ تَعَالَىْ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمَر: ٣٨] وَقَالَ تَعَالَىْ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأَنْعَام: ١٧] وَقَالَ تَعَالَىْ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يُونُس: ١٠٧] وَقَالَ تَعَالَىْ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فَاطِر: ٢] وَفِيْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلَامُ احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأقلام وجفَّت الصُّحُف» رَوَاهُ أَحْمد وَالتِّرْمِذِيّ.

* فَعَلِمُوْا أَنَّ رِضَىْ النَّاسِ لَا يَنْفَعُ مَعَ سَخَطِ اللهِ، قَالَ تَعَالَىْ: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التَّوْبَة : ٩٦] فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْمُنَافِقِيْنَ يَحْلِفُونَ تِلْكَ الْأَيْمَانَ لِيَرْضَى عَنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَنَّهُمْ إِنْ رَضُوا عَنْهُمْ، {فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} أَي: الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، فَإِنَّ الْفِسْقَ هُوَ الْخُرُوجُ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْفَأْرَةُ "فُوَيسقة" لِخُرُوجِهَا مِنْ جُحْرِهَا لِلْإِفْسَادِ .

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «من التمَس رضى الله بسخط النَّاس كفاهُ اللهُ مؤونة النَّاس وَمن التمس رضى النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ وَهَوَ مَوْقُفٌ صَحِيْحٌ.

*فَهُمْ عَبِيْدٌ للهِ فَكَانَ حَقًا عَلَيْهِمْ طَلَبُ مرْضَاتِ اللهِ تَعَالَىْ قَالَ تَعَالَىْ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [التَّوْبَة : ٦٢] .

* فَانْقَطَعَ رَجَاؤُهِمْ مِمَّنْ سُوَىْ اللهِ تَعَالَىْ وَيَئِسُوْا مِنْهُمْ فَأَخْلَصُوْا دَعْوَتَهُمْ وَجَمِيْعَ أَعْمَالَهُمْ للهِ تَعَالَىْ وَحْدَهُ القَائِلُ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البَيِّنَة : ٥] ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزُّمَر : ١١] ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾ [الزُّمَر : ١٤] وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "

قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ هُوَ لِلَّذِي عَمِلَهُ ". رَوَاهُ مُسلم

[حُكْمُ الدَّعْوَةِ إِلَىْ اللهِ]

قَالَ الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله فِيْ كِتَابِهِ الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة: أما حكمها: فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله عز وجل، وأنها من الفرائض، والأدلة في ذلك كثيرة، منها: قوله سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٠٤] ، ومنها: قوله جل وعلا: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النَّحْل : ١٢٥] ، ومنها: قوله عز وجل: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [القَصَص : ٨٧] ، ومنها: قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف : ١٠٨] فبين سبحانه أن أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم هم الدعاة إلى الله، وهم أهل البصائر، والواجب - كما هو معلوم - هو اتباعه، والسير على منهاجه عليه الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأَحْزَاب : ٢١] وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله عز وجل فرض كفاية، بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم

فيها الدعاة، فإن كل قطر وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة، وعملا صالحا جليلا.

وإذا لم يقم أهل الإقليم، أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عاما، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه، أما بالنظر إلى عموم البلاد، فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله جل وعلا في أرجاء المعمورة، تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله عز وجل بالطرق الممكنة، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله عز وجل أهـ.

القَاعِدَةُ الثَّانِيَةُ:

أَنَّهُمْ يَدْعُوْنَ إِلَىْ اللهِ بِالْحِكْمَةِ قَالَ تَعَالَىْ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النَّحْل : ١٢٥] ، وَالْحِكْمَةُ: كَلِمَةٌ عَظِيْمَةٌ مَعْنَاهَا: الدَّعْوَةُ إِلَىْ اللهِ بِالعِلْمِ وَالبَصِيْرَةِ وَالأَدِلَّةِ الوَاضِحَةِ المُقْنِعَةِ الكَاشِفَةِ لِلْحَقِّ المُبَيِّنَةُ لَهُ المُسْتَمَدَّةُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ وَاجْمَاعِ الأُمَّةِ قَالَ ابْنُ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيُّ فِيْ تَفْسِيْرِهِ جَامِعُ البَيَانِ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [النَّحْل : ١٢٥] (بِالْحِكْمَةِ): يَقُوْلُ بِوَحْيِ اللهِ الَّذِيْ يُوْحِيْهِ إِلَيْكَ وَكِتَابِهِ الَّذِيْ يُنَزِّلُهُ عَلَيْكَ ا هـ .

فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَىٰ اللهِ عَلَىٰ جَهْلٍ يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ وَهُوَ قَائِلٌ عَلَىٰ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَقَدْ حَرَّمَ اللهُ تَعَالَىٰ القَوْلَ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٣٣] وَأَيْضًا افْتَرَى عَلَى اللهِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يُونُس : ٥٩] وَالَّذِيْ يَفْتَرِيْ عَلَىٰ اللهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النَّحل : ١١٦]. وَطَلَبُهُمْ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ طَلَبُ إِعْجَازٍ أَنْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ لَهُمْ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَذَا، وَنَهَى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ شَهِدَ لَهُمْ شُهُودُ زُورٍ أَنْ يَشْهَدَ مَعَهُمْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٥٠] وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ الْأَلْفَاظِ، لَا بِخُصُوصِ الْأَسْبَابِ كَمَا بَيَّنَهُ أَهْلُ العِلْمِ فِيْ مَوَاضِعِهِ.

لَا يَجُوْزُ تَقْلِيْدُ مَنْ لَيْسَ بِحُجَّةٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ

*وَأَيْضًا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ يُحَذِّرُوْنَ مِنْ تَقْلِيْدِ مَنْ لَيْسَ بِحُجَّةٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ التَّقْلِيد حرَام وَلَا يحل لأحد أَن يَأْخُذ قَولَ أَحَدٍ غير رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بِلَا برهَان. لقَوْله تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأَعْرَاف : ٣] وَقَوله تَعَالَى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البَقَرَة : ١٧٠] وَقَالَ تَعَالَى مادحا لمن لم يُقَلّد ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزُّمَر : ١٧ - ١٨] وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النِّسَاء : ٥٩] فَلم يبح الله تَعَالَى الرَّد عِنْد التَّنَازُع إِلَى أُحْدُ دون الْقُرْآن وَالسّنة وَحرم بذلك الرَّد عِنْد التَّنَازُع إِلَى قَول قَائِل لِأَنَّهُ غير الْقُرْآن وَالسّنة وَقد صَحَّ إِجْمَاعُ الصَّحَابَة كلهم أَوَّلهمْ عَن آخِرهم وَإِجْمَاعُ التَّابِعين أَوَّلهمْ عَن آخِرهم وَإِجْمَاعُ تَابِع التَّابِعين أَوَّلهمْ عَن آخِرهم على الإمتناع وَالْمَنْع من أَن يقْصد أحد إِلَى قَول إِنْسَان مِنْهُم أَو مِمَّن قبلهم فَيَأْخذهُ كُله. وَفِيْ كتَاب قَاضِي قُضَاةُ القَطْر اليَمَانِيّ مُحَمَّد بْن عَلَيٍّ الشَّوْكَانِيّ القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد غُنْيَةٌ لِمَنْ أَرَادَ المَزِيْدَ.

وَقَدْ سَمِعْنَا عُلَمَائَنَا يُحَذِّرُوْنَ مِنْ ذَلِكَ وَيَقُوْلُ أَحَدُهُمْ: لَا يُقَلِّدُنِيْ إِلَّا سَاقِطٌ. وَآخَرُ يَقُوْلُ: لَا يُقَلِّدُنِيْ إِلَّا صُعْبِيٌّ. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الْأَلْفَاظِ المُنَفِّرَةِ عَنْ التَّقْلِيْدِ،

وَيَقُوْلُونَ يَجِبُ عَلَى المُكَلَّفِ أَنْ يَعْرِفَ الحَقَّ بِدَلِيْلِهِ وَلَيْسَ بِالرِّجَالِ، فَكُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُرَدُّ إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ الإِمَامُ الشِنْقِطِيُّ: وَلَا يَجُوزُ الْبَتَّةَ لِلْمُقَلِّدِ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَوْلِهِ: هَذَا الْحُكْمُ قَالَهُ الْإِمَامُ الَّذِي قَلَّدْتُهُ أَوْ أَفْتَى بِهِ.

وَمِمَّا يُوَضِّحُ هَذَا أَنَّ الْمُقَلِّدَ الَّذِي يَقُولُ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ بِأَنَّ اللهَ حَرَّمَهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ قَطْعًا.

فَهُوَ دَاخِلٌ بِلَا شَكٍّ فِي عُمُومِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأَعْرَاف : ٣٣] فَدُخُولُهُ فِي قَوْلِهِ: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}، كَمَا تَرَى، وَهُوَ دَاخِلٌ أَيْضًا فِي عُمُومِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البَقَرَة : ١٦٩] ، اهـ .

* وَلِهَذَا اهْتَمَّ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ بِالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ فَفَتَحُوا مَرَاكِزًا لِذَلِكَ وَسَخَّرُوا أَنْفُسَهُمْ لنَشْرِ العِلْمِ وَاشْتَرَطُوا فِي الدَّعِيِّ إِلَى اللهِ شُرُوطًا :

- قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ الأَمِيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) .

يُشْتَرَطُ فِي الْآمِرِ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِلْمٌ، يَعْلَمُ بِهِ أَنَّ مَا يَأْمُرُ بِهِ مَعْرُوفٌ، وَأَنَّ مَا يَنْهَى عَنْهُ مُنْكَرٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ جَاهِلًا بِذَلِكَ فَقَدْ يَأْمُرُ بِمَا لَيْسَ بِمَعْرُوفٍ، وَيَنْهَى عَمَّا لَيْسَ بِمُنْكَرٍ، وَلَاسِيَّمَا فِي هَذَا الزَّمَنِ الَّذِي عَمَّ فِيهِ الْجَهْلُ وَصَارَ فِيهِ الْحَقُّ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يُوسُف : ١٠٨] ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى اللهِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ، وَهِيَ الدَّلِيلُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا لَبْسَ فِي الْحَقِّ مَعَهُ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ إِلَى اللهِ بِالْحِكْمَةِ، وَحُسْنِ الْأُسْلُوبِ، وَاللَّطَافَةِ مَعَ إِيضَاحِ الْحَقِّ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النَّحل : ١٢٥] ، فَإِنْ كَانَتْ دَعْوَتُهُ إِلَى اللهِ بِقَسْوَةٍ وَعُنْفٍ وَخَرْقٍ، فَإِنَّهَا تَضُرُّ أَكْثَرَ مِمَّا تَنْفَعُ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْنَدَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ إِسْنَادًا مُطْلَقًا، إِلَّا لِمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْعِلْمِ، وَالْحِكْمَةِ، وَالصَّبْرِ عَلَى أَذَى النَّاسِ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَظِيفَةُ الرُّسُلِ، وَأَتْبَاعِهِمْ، وَهُوَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْأَذَى مِنَ النَّاسِ ؛ لِأَنَّهُمْ مَجْبُولُونَ بِالطَّبْعِ عَلَى مُعَادَاةِ مَنْ يَتَعَرَّضُ لَهُمْ فِي أَهْوَائِهِمُ الْفَاسِدَةِ، وَأَغْرَاضِهِمُ الْبَاطِلَةِ، وَلِذَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ لُقْمَانُ الْحَكِيمُ لِوَلَدِهِ، فِيمَا قَصَّ اللهُ عَنْهُ: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لُقْمَان : ١٧] ، وَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» ، يَعْنِي قُرَيْشًا، أَخْبَرَهُ وَرَقَةُ: أَنَّ هَذَا الدِّينَ

الَّذِي جَاءَ بِهِ لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا عُودِيَ، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ: «مَا تَرَكَ الْحَقُّ لِعُمَرَ صَدِيقًا» ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُحْكَمُ عَلَى الْأَمْرِ بِأَنَّهُ مُنْكَرٌ، إِلَّا إِذَا قَامَ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ .

وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ مَسَائِلِ الِاجْتِهَادِ فِيمَا لَا نَصَّ، فَلَا يُحْكَمُ عَلَى أَحَدِ الْمُجْتَهِدِينَ الْمُخْتَلِفِينَ بِأَنَّهُ مُرْتَكِبٌ مُنْكَرًا، فَالْمُصِيبُ مِنْهُمْ مَأْجُورٌ بِإِصَابَتِهِ، وَالْمُخْطِئُ مِنْهُمْ مَعْذُورٌ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي مَحَلِّهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ بِطَرِيقَيْنِ: طَرِيقِ لِينٍ، وَطَرِيقِ قَسْوَةٍ، أَمَّا طَرِيقُ اللِّينِ فَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَإِيضَاحُ الْأَدِلَّةِ فِي أَحْسَنِ أُسْلُوبٍ وَأَلْطَفِهِ، فَإِنْ نَجَحَتْ هَذِهِ الطَّرِيقُ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ تَنْجَحْ تَعَيَّنَتْ طَرِيقُ الْقَسْوَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، وَتُقَامَ حُدُودُهُ، وَتُمْتَثَلَ أَوَامِرُهُ، وَتُجْتَنَبَ نَوَاهِيهِ، وَإِلَى هَذِهِ الْإِشَارَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد : ٢٥] فَفِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَعْمَالِ السَّيْفِ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَنْفَعِ الْكُتُبُ تَعَيَّنَتِ الْكَتَائِبُ، وَاللهُ تَعَالَى قَدْ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ.

اهـ مِنْ أَضْوَاءِ البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (١/ ٤٦٤) .

* وقال الشيخ ابن باز في كتابه الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (ص: ٢٥): أما كيفية الدعوة وأسلوبها: فقد بينها الله عز وجل في كتابه الكريم، وفيما جاء في سنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ومن أوضح ذلك قوله جل وعلا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النَّحل : ١٢٥] فأوضح سبحانه الكيفية التي ينبغي أن يتصف بها الداعية ويسلكها، يبدأ أولا بالحكمة، والمراد بها: الأدلة المقنعة الواضحة الكاشفة للحق، والداحضة للباطل؛ ولهذا قال بعض المفسرين: المعنى: بالقرآن؛ لأنه الحكمة العظيمة؛ لأن فيه البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه، وقال بعضهم: معناه: بالأدلة من الكتاب والسنة اهـ.

القاعدة الثالثة :

الْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَالمُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ : أَهْلُ السُّنَّةِ وّالجَمَاعَةِ يَدْعُوْنَ إِلَىْ اللهِ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَالمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ امْتِثَالًا لِقَوْلِهِ تَعَالَىْ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النَّحل : ١٢٥] [النحل: ١٢٥] وَذَلِكَ عَلَىْ حَسَبِ حَالِ المَدْعُوْ فإذا كان المدعو عنده بعض الجفاء والاعتراض دعوته بالموعظة الحسنة، بالآيات والأحاديث التي فيها الوعظ والترغيب، فإن كان عنده شبهة جادلته بالتي هي أحسن، ولا تغلظ عليه، بل تصبر عليه ولا تعجل ولا تعنف، بل تجتهد في كشف الشبهة، وإيضاح الأدلة بالأسلوب الحسن.

المُجَادَلَةُ بَالَّتِيْ هِيْ أَحْسَن

قَالَ تَعَالَىْ: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النَّحل : ١٢٥] قَالَ ابْنُ كِثِيْرٍ: أَيْ: مَنِ احْتَاجَ مِنْهُمْ إِلَى مُنَاظَرَةٍ وَجِدَالٍ، فَلْيَكُنْ بِالْوَجْهِ الْحَسَنِ بِرِفْقٍ وَلِينٍ وَحُسْنِ خِطَابٍ، كَمَا قَالَ: ﴿* وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العَنكَبُوت : ٤٦] فَأَمَرَهُ تَعَالَى بِلِينِ الْجَانِبِ، كَمَا أَمَرَ مُوسَى وَهَارُونَ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، حِينَ بَعَثَهُمَا إِلَى فِرْعَوْنَ فَقَالَ: {فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٤]، اهـ.

وَقَالَ قَتَادَةُ وَغَيْرُ وَاحِدٍ: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىْ: ﴿* وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العَنكَبُوت : ٤٦] مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ مُجَادَلَةٌ، وَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْلَامُ أَوِ الْجِزْيَةُ أَوِ السَّيْفُ.

وَالصَّحِيْحُ إِنَّهَا بَاقِيَةٌ مُحْكَمَةٌ لَمْ تُنْسَخْ وَذَلِكَ لِمَنْ أَرَادَ الِاسْتِبْصَارَ مِنْهُمْ فِي الدِّينِ، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةُ كَمَا فِيْ الجَوَابِ الصَّحِيْحِ لِمَنْ بَدَّلَ دِيْنَ المَسِيْحِ (١/ ٢١٨): "فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: آيَاتُ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُحَاجَّةِ لِلْكُفَّارِ مَنْسُوخَاتٌ بِآيَةِ السَّيْفِ ؛ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ الْمَشْرُوعِ يُنَافِي الْمُجَادَلَةَ الْمَشْرُوعَةَ وَهَذَا غَلَطٌ، فَإِنَّ النَّسْخَ إِنَّمَا يَكُونُ إِذَا كَانَ الْحُكْمُ النَّاسِخُ مُنَاقِضًا لِلْحُكْمِ الْمَنْسُوخِ، كَمُنَاقَضَةِ الْأَمْرِ بِاسْتِقْبَالِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فِي الصَّلَاةِ لِلْأَمْرِ بِاسْتِقْبَالِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِالشَّامِ، وَمُنَاقَضَةِ الْأَمْرِ بِصِيَامِ رَمَضَانَ لِلْمُقِيمِ

لِلتَّخْيِيرِ بَيْنَ الصِّيَامِ وَبَيْنَ إِطْعَامِ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا، وَمُنَاقَضَةِ نَهْيِهِ عَنْ تَعَدِّي الْحُدُودِ الَّتِي فَرَضَهَا لِلْوَرَثَةِ لِلْأَمْرِ بِالْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ، وَمُنَاقَضَةِ قَوْلِهِ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنِ الْقِتَالِ لِقَوْلِهِ: قَاتِلُوهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ [النِّسَاء : ٧٧] فَأَمْرُهُ لَهُمْ بِالْقِتَالِ نَاسِخٌ لِأَمْرِهِ لَهُمْ بِكَفِّ أَيْدِيهِمْ عَنْهُمْ، فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النَّحل : ١٢٥] وَقَوْلُهُ: ﴿* وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾ [العَنكَبُوت : ٤٦] فَهَذَا لَا يُنَاقِضُهُ الْأَمْرُ بِجِهَادِ مَنْ أَمَرَ بِجِهَادِهِ مِنْهُمْ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ بِالْقِتَالِ يُنَاقِضُ النَّهْيَ عَنْهُ وَالِاقْتِصَارَ عَلَى الْمُجَادَلَةِ اهـ.

ثُمَّ ذَكَرَ بَابًا قَالَ فِيهِ: [وُجُوهُ الْجَمْعِ بَيْنَ مُجَادَلَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقِتَالِهِمْ] وَبَيَّنَ خَطَأَ مَنْ قَالَ بِالنَّسْخِ فَلْيُرَاجِعْهُ مَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ.

وَاسْلُوْبُ مُجَادَلَتِهِمْ كَمَا يَلِيْ:

١- بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، لِيَكُونَ أَنْجَعَ فِيهِمْ كَمَا تَقَدَّمَ فَقَدْ أَمَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَبِيَّهُ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا وَعَلَى نَبِيِّنَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنْ يَقُولَا لِفِرْعَوْنَ فِي حَالِ تَبْلِيغِ رِسَالَةِ اللهِ إِلَيْهِ «قَوْلًا لَيِّنًا» أَيْ كَلَامًا لَطِيفًا سَهْلًا رَقِيقًا، لَيْسَ فِيهِ مَا يُغْضِبُ وَيُنَفِّرُ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤] ، وَقَدْ بَيَّنَ جَلَّ وَعَلَا الْمُرَادَ بِالْقَوْلِ اللَّيِّنِ فِي

هَذِهِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النَّازِعَات : ١٧ - ١٩] وَهَذَا، وَاللهِ غَايَةٌ لِينِ الْكَلَامِ وَلَطَافَتِهِ وَرِقَّتِهِ كَمَا تَرَى .

* -قَالَ الشِّنْقِيطِيُّ: "يُؤْخَذُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ بِالرِّفْقِ، وَاللِّينِ. لَا بِالْقَسْوَةِ، وَالشِّدَّةِ، وَالْعُنْفِ .

* -وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: قَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ عِنْدَ قَوْلِهِ: {فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا} : يَا مَنْ يَتَحَبَّبُ إِلَى مَنْ يُعَادِيهِ فَكَيْفَ بِمَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيُنَادِيهِ؟

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه: قُولَا لَهُ: إِنِّي إِلَى الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ أقربُ مِنِّي إِلَى الْغَضَبِ وَالْعُقُوبَةِ.

وَلَقَدْ صَدَقَ مَنْ قَالَ:

وَلَـــوْ أَنَّ فِرْعَـــوْنَ لَمَّـــا طَغَـــى *** وَقَـــالَ عَلَـــى اللهِ إِفْكًـــا وَزُورًا
أَنَـــابَ إِلَـــى اللهِ مُسْـــتَغْفِرًا *** لَمَـــا وَجَـــدَ اللهَ إِلَّا غَفُـــورًا

٢- المُجَادَلَةُ بِعِلْمٍ :

قَالَ تَعَالَىْ كَمَاْ فِيْ الآيَةِ (٨) مِنْ سُوْرِةِ الحَجِّ وَالآيَةِ (٢٠) مِنْ سُوْرِةِ لُقْمَانِ:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لُقْمَان : ٢٠] وَقَالَ تَعَالَىْ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ [الحَج : ٣ - ٤] .

*قَالَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ الأَمِيْنُ الشنقيطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: وَاعْلَمْ أَنَّهُ يُفْهَمُ مِنْ دَلِيلِ خِطَابِ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، أَعْنِي مَفْهُومَ مُخَالَفَتِهَا: أَنَّهُ مَنْ يُجَادِلُ بِعِلْمٍ عَلَى ضَوْءِ هُدَى كِتَابٍ مُنِيرٍ، كَهَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ؛ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ بِتِلْكَ الْمُجَادَلَةِ الْحَسَنَةِ – أَنَّ ذَلِكَ سَائِغٌ مَحْمُودٌ ؛ لِأَنَّ مَفْهُومَ قَوْلِهِ: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج : ٨] أَنَّهُ إِنْ كَانَ بِعِلْمٍ فَالْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ اتِّبَاعٌ لِلشَّيْطَانِ، وَيَدُلُّ لِهَذَا الْمَفْهُومِ الْمَذْكُورِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النَّحل : ١٢٥] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العَنكَبُوت : ٤٦] وَقَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: هَذِهِ الْآيَةُ بِمَفْهُومِهَا تَدُلُّ عَلَى جَوَازِ الْمُجَادَلَةِ الْحَقَّةِ ؛ لِأَنَّ تَخْصِيصَ الْمُجَادَلَةِ مَعَ عَدَمِ الْعِلْمِ بِالدَّلَائِلِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُجَادَلَةَ مَعَ الْعِلْمِ جَائِزَةٌ، فَالْمُجَادَلَةُ الْبَاطِلَةُ: هِيَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العَنكَبُوت : ٤٦] وَالْمُجَادَلَةُ الْحَقَّةُ هِيَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النَّحل : ١٢٥] اهـ مِنْهُ.

٣- وَيُشْتَرَطُ فِيْ مَنْ يُجَادِلُ أَنْ يَكُوْنَ عِنْدَهُ عِلْمٌ يَدْفَعُ بِهِ الشُّبَهَاتِ وَدِيْنٌ يَدْفَعُ بِهِ الشَّهَوَاتِ وَإِلَّا أُوْتِيَ الإِسْلَامُ وَالسُّنَّةُ مِنْ قِبَلِهِ؛ وَحَصَلَ لِلْحَقِّ خَذِيْلَةٌ بِسَبَبِهِ؛ فَإِنَّهُمْ يَذْكُرُوْنَ أَنَّ عِمْرَانَ بْنَ حِطَّانَ بنِ ظَبْيَانَ السَّدُوْسِيُّ البَصْرِيُّ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِابْنَةِ عَمِّهِ لِيَرُدَّهَا عَنْ مَذْهَبِ الخَوَارِجِ إِلَىْ السُّنَّةِ

لِيَنْتَفِعَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِذَكَائِهَا الخَارِقِ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ تَزَوَّجَ بِهَا حَتَّى صَارَ رَأْسًا لِلْخَوَارِجِ يَمْدَحُ ابْنَ مَلْجَمَ قَاتِلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُوْلُ:

يَـا ضَـرْبَةً مِـنْ تَقِـيٍّ مَـا أَرَادَ بِهَـا *** إِلاَّ لِيَبْلُـغَ مِـنْ ذِي العَـرْشِ رِضْـوَانَا
إِنِّـي لأَذْكُـرُهُ حِيْنًـا فأحسـبه *** أَوْفَـى البَرِيَّـةِ عِنْـدَ اللهِ مِيْزَانَـا
أَكْـرِمْ بِقَـوْمٍ بُطُـوْنُ الطَّيْـرِ قَبْـرُهُمُ *** أَوْفَـى البَرِيَّـةِ عِنْـدَ اللهِ مِيْزَانَـا

٤- **الصَّبْرُ** : قَالَ تَعَالَىْ عَلَىْ لِسَانِ عَبْدِهِ لُقْمَان الحَكِيْم: ﴿**يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧**﴾ [لُقْمَان : ١٧] .

وَقَالَ شَيْخُ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ: اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل.

(الأُولَى) الْعِلْمُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

(الثانية) العمل به.

(الثالثة) الدعوة إليه.

(الرَّابِعَةُ) الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣**﴾ [العَصْر : ١ - ٣] .

*** وَقَالَ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِيْ الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة (ص: ٤٥):**

ثالثًا: أن تكون حليما في دعوتك، رفيقا فيها، متحملا صبورا كما فعل الرسل

عليهم الصلاة والسلام، إياك والعجلة، إياك والعنف والشدة، عليك بالصبر، عليك بالحلم، عليك بالرفق في دعوتك، وقد سبق لك بعض الدليل على ذلك، كقوله جل وعلا: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النَّحل : ١٢٥] ، وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ﴾ [آل عِمۡرَان : ١٥٩] ، وقوله جل وعلا في قصة موسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ [طه : ٤٤] وَفِيْ الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ يَقُوْلُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بهم فارفُقْ بِهِ» . رَوَاهُ مُسلمٌ فِيْ الصَّحِيْحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فعليك يا عبد الله، أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك، ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليما صبورا، سلس القياد، لين الكلام، طيب الكلام؛ حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني عليك بها، ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع اهـ .

القَاعِدَةُ الرَّابِعَةُ:

دَعْوَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ عَامَّةٌ: قَالَ تَعَالَىْ: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّ إِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ

﴿بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٢٠﴾ [آل عِمْرَان : ٢٠] قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىْ: وَهَذِهِ الْآيَةُ وَأَمْثَالُهَا مَنْ أَصْرَحِ الدَّلَالَاتِ عَلَى عُمُومِ بِعْثَتِهِ، صَلوات اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنْ دِينِهِ ضَرُورَةً، وَكَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ وَحَدِيثٍ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأَعْرَاف : ١٥٨] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرْقَان : ١] وَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، مِمَّا ثَبَتَ تَوَاتُرُهُ بِالْوَقَائِعِ الْمُتَعَدِّدَةِ، أَنَّهُ بَعَثَ كُتُبَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو إِلَى اللهِ مُلُوكَ الْآفَاقِ، وَطَوَائِفَ بَنِي آدَمَ مِنْ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، كتابِيِّهم وأُمِّيِّهم، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ لَهُ بِذَلِكَ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيّ وَلا نَصْرَانِي، ومَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسلتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ، وَكَانَ النَّبِيُّ إِنَّمَا يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مِنْ مَسِيرَةِ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ، فَلْيُصَلِّ حَيْثُ أَدْرَكَتْهُ " لَفْظُ أَحْمَدَ وَإِسْنَادِهِ عَلَىٰ

شَرْطِهِمَا. وَرَوَيَاهُ بِلَفْظِ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أدركته الصَّلاةُ فليُصلِّ وأُحلَّتْ لي المغانمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عامَّةً ". مُتَّفق عَلَيْهِ .

عَن أنس قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ» . فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ. فَأَسْلَمَ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيّ.

***وَقَالَ صَاحِبُ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ١٧٤):** فِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ**﴾ [هُود : ١٧] ، صَرَّحَ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَكْفُرُ بِهِ أَحَدٌ كَائِنًا مَنْ كَانَ إِلَّا دَخَلَ النَّارَ. وَهُوَ صَرِيحٌ فِي عُمُومِ رِسَالَةِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَالْآيَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ**﴾ [الأَنْعَام : ١٩] ، وَقَوْلِهِ: ﴿**تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١**﴾ [الفُرْقَان : ١] ، وَقَوْلِهِ: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [سَبَإ : ٢٨] وَقَوْلِهِ: ﴿**قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأَعْرَاف : ١٥٨] .

* وَقَدْ نَبتَتْ نَابِتَةٌ فِيْ صُفُوْفِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِيْ هَذِهِ الآوِنَةِ ضَيَّقُوْا أَمْرًا قَدْ جَلَ اللهُ فِيْهِ سَعَةً فَحَصَرُوا الدَعْوَةَ فِيْ أَشْخَاصٍ مُعَيَّنِيْنَ وَخَصَّصُوْهَا فِيْ مَسَاجِدَ مُعَيَّنَةٍ فَقَالُوا لَا يَدْعُ السُّنِّيُّ إِلَّاْ سُنِّيًّا وَلَا يَنْصَحْ إِلَّاْ فِيْ مَسْجِدَ سُنِّيٍّ وَقَدْ تَعَجَّبْتُ حِيْنَ سَأَلْتُ مَرَّةً بَعْضَ مَنْ كَانَ قَائِمًا عَلَى المَسْجِدِ السَّلَفِي بِعَتَق عَنْ سَبَبِ مَنْعِ بَعْضِ الدُّعَاةِ مِنَ الكَلَامِ فِيْ مَسْجِدِهِ؛ فَقَالَ: هَذَا الدَّاعِيَةُ ذَهَبَ دَعْوَةً مَرْخَةً وَلِيْسَ لَنَا فِيْهَا مَسْجِدٌ؛ وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ فِي فَهْمِ مِنْهَجِ دَعْوَةِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَصَلَ لِهَذَا الأَخِ وَإِذَا هُنَاكَ إِخْوَةٌ كَثِيْرٌ عِنْدَهُمْ ذَلِكَ الخَطَأُ وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّ مِنْ المُهِمَّاتِ مَعْرِفَةِ مِنْهَجِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى اللهِ لَأَنَّنَا نَخشَى أَنْ يُسْلَبَ هَذَا الخَيْرُ الَّذِيْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِهِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ عَبَّادًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، يُقِرُّهُمْ فِيهَا مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ، فَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَأَسْبَغَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ شَيْئًا مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ إِلَيْهِ فَتَبَرَّمَ، فَقَدْ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ للزَّوَالِ» قال المنذري وتبعه الهيثمي: " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي " الأوسط " وإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ .

وفي نشر العلم وتعلميه زيادة له، فعلم العالم يزيد إذا علّم الناس؛ لأنه استذكار لما حفظ وانفتاح لما لم يحفظ، قال الإلبيري في العلم:

يزيـــد بكثـــرة الإنفـــاق منـــه *** ويـــنقص إن بـــه كفًّـــا شـــددتا

أي: إذا أمسكته ولم تعلّمه نقص.

تَنْبِيْهٌ

* وَمِمَّا حَمَلَنِيْ عَلَى إِلْقَاءِ هَذِهِ الكَلِمَةَ أَنَّ بَعَضَ الإِخْوَةِ الأَفَاضِلِ حَفِظَهُمْ اللهُ تَعَالَى حَصَلَ عِنْدَهُمْ لَبْسٌ وَخَلْطٌ بِيْنَ أَمْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ وَبَعْضِ أُصُوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ فَإِنَّ مِنْ أَصُوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ التَّمَيُّزَ عَنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ وَمُبَايَنَتَهُمْ؛ وَمِنْ أَصْوْلِهِمْ التَّصْفِيَةِ والتَّرْبِيَّةِ. فَيَنْبَغِي لِلْسُّنِيِّ أَنْ يَتَمَيَّزَ فِيْ دَعْوَتِهِ إِلَى اللهِ فَلَا يُشَارِكْ صُوْفِيًّا فِيْ دَعْوَتِهِ فَيَقُوْمُ الصُّوْفِيُّ يَتَكَلَّمُ وَالسُّنِّيُّ يَقُوْمُ بَعْدَهُ وَلَا يُبَيِّنُ مَا عِنْدَهُ مِنْ الشِّرْكِيَّاتِ وَالبِدَعِ وَالمُحْدَاثَاتِ؛ ثُمَّ هَذَانِ نَقِيْضَانِ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ؟ سُنِّيٌّ يَدْعُوْ إِلَى تَوْحِيْدِ اللهِ وَصُوْفِيٌّ يَدْعُوْ إِلَى الشِّرْكِ بِاللهِ؛ وَكَذَلِكَ لَا يُشَارِكْ سُنِّيٌّ حِزْبِيًّا إِخْوَانِيًا يَدْعُوْ إِلَى عَصَبِيَّةٍ جَاهِلِيَّةٍ قَالَ عَنْهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهَا مُنْتِنَةٌ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلْأَنْصَارِ، وَقَالَ المُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

فَالسُنِّيُّ يَدْعُو إِلَىْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمْرَان : ١٠٣] وَيَنْهَى عَمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ

فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الرُّوم : ٣١ - ٣٢] وَيَحُثُّ المُؤْمِنِيْنَ لِمْتِثَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرَات : ١٠] وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَ﴾ [المَائِدَة : ٢] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النِّسَاء : ٥٩].

وَالإِخْوَانِي يَدْعُوْ إِلَى ضِدِّ ذَلِكَ كُلِّهِ يَدْعُوْ إِلَى أَفْكَارِ حَسَنِ البَنَّاءِ وَسَيِّدِ قُطْبٍ الخَارِجِيَّانِ؛ فَهَذَانِ نَقِيْضَانِ أَيْضًا لَا يَجْتَمِعَانِ. وَكَذَلِكَ قُلْ فِيْ أَصْحَابِ الحِزْبِ الجَدِيْدِ أَصْحَابِ الفِيُوْشِ وَمَنْ فِيْ صَفِّهِمْ مِمْنْ يَدْعُوْ إِلَىْ إِلْحَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجمَاعَةِ بِأَصْحَابِ الجَمْعِيَّاتِ وَتَمْيِيْعِهِمْ وَتَمْزِيْقِهِمْ؛

- وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ فَهَذَا يُنَافِيْ التَمَيُّز فَلَمْ يَتَمَيَّزْ بَعْضُهم من بَعْضٍ حَتَّىْ يُقَالُ هَذَا سُنِّيٌ وَهَذَا مُبْتَدِعٌ وَلَمْ يُفَرِّقْ السَّامِعُ بيْنَ الدَّعِيِيْنِ فَهَذَا خَلْطٌ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ وَتَمْيِيْعٌ لِلْدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ؛ أَوْ كَمَا يَقُوْلُ عَوَامُّ النَّاسِ مُخَضَّرِيَّة .

* أَمَّا الذَّهَابُ إِلَى أَهْلِ الأَهْوَاءِ لِدَعْوَتِهِمْ إِلَى السُّنَّةِ ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النَّحل : ١٢٥] وَمُجَادَلَتِهِمْ ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النَّحل : ١٢٥] لِمَنْ كَانَ عِنْدَهُ الأَهْلِيَّةِ لِذَلِكَ كَمَا تَقَدَمَ فَهَذِهِ تُسَمَّى دَعْوَةٌ.

* وَلْنَحْذَرْ مِنْ فِكْرِ العُمُوْدِيِّ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَى أَوْسَاطِنَا فَإِنَّهُ فِكْرٌ رَدِيءٌ لَا يَمُتُّ لِمَنْهَجِ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّعَوِيِّ بِصِلِةٍ فَقَدْ عَلِمْنَا شُمُولِيَّةَ دَعْوَتِهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَضِيْقَ فِكْرِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِيْ يُخَالِفُ فِعْلَهُ فَظَاهِرُ فِكْرِهِ المَنْشُوْرِ عَلَى الشَّبَكَاتِ الدَّعْوَةِ إِلَى تَمَيُّزِ دَعْوَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَهُوَ بَيْنَ أَهْلِ الأَهْوَاء فِيْ المُعَلَّى لَا دَعْوَةَ لَهُ يَتَمَيَّزُ بِهَا :

وَغَيْـرُ تَقِـيٍّ يَـأْمُرُ النَّـاسَ بِـالتُّقَى ❊❊❊ طَبِيْـبٌ يُـدَاْوِيْ النَّـاسَ وَهُـوَ سَـقِيْمُ

وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ:

يَـا أَيُّهَـا الرَّجُـلُ الْمُعَلِّـمُ غَيْـرَهُ ❊❊❊ هَـلَّا لِنَفْسِـكَ كَـانَ ذَا التَّعْلِـيمُ
لَا تَنْـهَ عَـنْ خُلُـقٍ وَتَـأْتِيَ مِثْلَـهُ ❊❊❊ عَـارٌ عَلَيْـكَ إِذَا فَعَلْـتَ عَظِـيمٌ
وَابْـدَأْ بِنَفْسِـكَ فَانْهَهَـا عَـنْ غَيِّهَـا ❊❊❊ فَـإِنِ انْتَهَـتْ عَنْـهُ فَأَنْـتَ حَكِـيمُ
فَهُنَـاكَ يُقْبَـلُ إِنْ وَعَظْـتَ وَيُقْتَـدَى ❊❊❊ بِـالْقَوْلِ مِنْـكَ وَيَنْفَـعُ التَّعْلِـيمُ

وَأَمَّا التَّصْفِيَةُ: فَالمَقْصُوْدُ بِهَا تَصْفِيَةُ الصَّفِّ مِنْ أَهْلِ الأَهْوَاءِ لِأَنَّ وُجُوْدِهِمْ فِيْ صُفُوْفِنَا يُخلْخِلُ الصَّفَّ وَلَيْسَ يَخْفَىْ مَا صَنَعَهُ المُنَافِقُوْنَ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَبْلُ ذَلِكَ وَبَعْدُ ذَلِكَ وَلَمْ يَزَلْ المَكْرُ فِيْ أَهْلِ الحَقِّ مِنْ أَهْلِ البَاطِلِ عَلَىْ مَرِّ الزَّمَانِ وَقَدْ أَنْدَسَّ فِيْ صُفُوْفِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ مَدْسُوْسُوْنَ فَحَصَلَ بِسَبَبِهِمْ مَا قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَاهُ وَالمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ حَذِرًا بِحِيْثُ لَاْ يُخْدَعُ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ مَرَّتَيْنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

-فَلَا يَلِيْقُ بِسُنِّيٍّ أَنْ يُخَالِلَ أَهْلَ الأَهْوَاءِ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الرَّجُلَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، كَمَا جَاءَ فِيْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الرَّجُلُ

عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» رَوَاهُ أَبُوْ دَاوُد وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ .

أَتَرْضَىْ يَا أَيُّهَا السُنِّيُّ أَنْ يَكُوْنَ قَرِيْنُ السُّوْءِ لَكَ قَرِيْنٌ فِيْ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ يَقُوْلُ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزُّخْرُف : ٦٧] أَوَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ يَقُوْلُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ٢٩﴾ [الفُرْقَان : ٢٧ - ٢٩] وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ: «المرءُ معَ من أحب» مُتَّفق عَلَيْهِ .

وَفِيْ حَدِيْثِ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ المُرَادِيَّ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ القِيَامَةِ» رَوَاهُ التِرْمِذِيُّ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَحَسَّنَهَ الأَلْبَانِيُّ .

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تبتاعَ مِنْهُ وإِمَّا أَن تجدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثيابَكَ وإِمَّا أَنْ تجدَ مِنْهُ ريحًا خبيثةً» مُتَّفق عَلَيْهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ المَرْضِ مُخَالَطَةَ المَرْضَى وَلِهَذَا نَهَىْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُوْرِدَ صَاحِبُ الإِبِلِ المِرَاضِ إِبِلَهُ عَلَى إِبِلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الصِّحَاحِ كَمَا

فِيْ الصَّحِيْحَيْنِ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ.»

وَلِحَدِيْثِهِ الآخَر قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وغَيْرُهُ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ وَغَيْرُهُ .

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِي الطَّاعُونِ مَنْ سَمِعَ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا يُقْدِمْ عَلَيْهِ .

* مَعَ أَنَّنَا نَعْتَقِدُ أَنَّ دُنُوَّ عَلِيلٍ مِنْ صَحِيحٍ غَيْرُ مُوجِبٍ لِانْتِقَالِ الْعِلَّةِ لِلصَّحِيحِ وَأَنَّ العِلَّةَ لَا تَنْتَقِلُ بِنَفْسِهَا لَكِنْ قَدْ يَجْعَلُ اللهُ بِمَشِيئَتِهِ مُخَالَطَةَ الصَّحِيحِ مَنْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْعُيُوبِ سَبَبًا لِحُدُوثِ ذَلِكَ فَلَا يَنْبَغِي لِذِي صِحَّةٍ الدُّنُوُّ مِنْ صَاحِبِ الْعَاهَةِ الَّتِي يَكْرَهُهَا النَّاسُ وَلِهَذَا جَاءَ فِيْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ الآخَر قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامة وَلَا صفر وفر الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ» . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

فـادع لربـك إنـه أدنـى لمـن ... يـدعوه مـن حبـل الوريـد وأقـربُ

وأحـذر مؤاخـاة الـدني فإنهـا ... تعـدي كمـا يعـدي الصـحيح

وأختر صديقك واصطفيه تفاخراً ... إن القـرين إلـى المقـارن ينسـبُ

ودع الكـذوب ولا يكـن لـك ... إن الكـذوب لبـئس خـلا يصـحبُ

وذر الحقـود ولـو صـفا لـك مـرة ... وأبعـده مـن رؤيـاك لا يسـتجلبُ

إن الحقـود وإن تقـادم عهـده ... فالحقـد بـاق في الصـدور مغيـبُ

فالعاقل يستعيذ بالله من مصاحبة الأشرار، ومعاشرة الأنذال، فمصاحبة الأشرار داء عيا، وبلاء وأذى، فصديق من هذا القبيل ما هو إلا كالجاسوس يتتبع العثرات، ويدل على العورات، ما رأى من صالح دفنه، وما رأى من سيء أذاعه، ومن كان أصدقاؤه أشراراً كان شرهم.

* وَإِنْ لَمْ تُصَبْ بِمَرَضِهِ فَإِنَّ إِخْوَانَكَ سَيَحْكُمُوْنَ عَلَيْكَ بِقَرِيْنَةِ المُجَالَسَةِ أَنَّ مَرَضَهُ قَدْ انتقَلَ إِلَيْكَ وَالعَمَلُ بِالقَرَائِنِ سَائِغٌ فِيْ الشَّرْعِ كَمَا حَكَمَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عَلَىْ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَفِيْ صَحِيْحِ البُّخَارِيِّ عَنْ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ الأَنْصارِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيْ قِصْةِ مَجِيْء النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلاَتِهِ فِيْ بَيْتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "فَسَمِعَ أَهْلُ الدَّارِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي، فَثَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: مَا فَعَلَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ؟ لاَ أَرَاهُ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: ذَاكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لاَ تَقُلْ ذَاكَ أَلاَ تَرَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ "، فَقَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، أَمَّا نَحْنُ، فَوَ اللهِ لاَ نَرَى وُدَّهُ وَلاَ حَدِيثَهُ إِلَّا إِلَى المُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ " فَحَكُمُوْا بِالقَرِيْنَةِ وَهُوَ سَائِغٌ إِلَّاْ أَنَّ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ بَرَّأَهُ المَعْصُوْمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا أُتِّهِمَ بِهِ وَأَنْتَ لَا مَعْصُوْمَ يُبَرِّئُكَ .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ، مِنْ جَارِ السَّوْءِ فِي دَارِ الْمُقَامِ، فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ عَنْكَ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ .

* وَهَلْ مُجَانَبَةُ قُرَنَاءِ السُّوْءِ عُذْرٌ لِتَرْكِ دَعْوَتِهِمْ؟ نَعَمْ لِمَنْ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ شَرَّهُمْ وَعَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ عَدَمُ الصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ لَكِنْ وَجَبَ عَلَيْه تَغْيِيْرُ مُنْكَرِهِمْ بِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَف الْإِيمَان أَمَا الْمُسْتَطِيْعُ فَلَا عُذْرَ لَهُ .

* وَمِمَّا يَنْبَغِيْ أَنْ نَعْلَمَهُ فِيْ هَذَا المَقَامِ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ لَيْسُوْا هَمَلًا – غَنَمًا بِدُوْنَ رَاعٍ – بَلْ إِنَّ لَدِيْهِمْ عُلَمَاءَ يَرْجِعُوْنَ إِلَيْهِمْ فِيْمَا أُشْكِلَ عَلَيْهِمْ فِيْ أَمْرِ دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللهِ وَيُطِيْعُوْنَهُمْ فِيْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَلَا يَبِيْحُوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ الخُرُوْجَ عَنْ طَاعَتِهِمْ مَا أَطَّاعُوْا اللهَ وَذَلِكَ مِنْ أَهْمِ المُهِمَّاتِ لِسِيْرِ دَعْوَتِهِمْ؛ وَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ لِكُلِّ أَهْلِ مِنْطَقَةٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُفَرِّغُ شَيْئًا مِنْ وَقْتِهِ لِتَرْتِيْبِ أَمْرِ الدَّعْوَةِ فِيْ مَنْطَقَتِهِ بِحِيْثُ يَعُمُّ الخَيْرُ جَمِيْعُ المَنْطَقَةِ وَلْيَبْشِرْ بِالخَيْرِ مِنْ اللهِ

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يُوسُف : ٩٠] ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٥﴾ [هُود : ١١٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾ [التَّوۡبَة : ١٢٠] ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾ [آل عِمۡرَان : ١٧١] ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ﴾ [آل عِمۡرَان : ١٩٥] ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥﴾ [مُحَمَّد : ٣٥] ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [الحُجُرَات : ١٤] ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

﴿يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الرُّوم : ٦] وَإِنْ فَاتَ شَيْءٌ مِنْ وَقْتِهِ لْيَبْشِرْ بِأَفْضَلَ مِمَّا فَاتَهُ قَدْ صَحَّ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ " رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ صَحِيْحٌ وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ وَاللهُ تَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المَائِدَة : ٢] ؛ وَلَا يُحْصَرُ الخَيْرُ فِيْ أَشْخَاصٍ أَوْ فِي مسَاجِدَ؛ بَلْ يَعُمُّ مَنْ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَيْهِ، وَلْيَكُنْ مِمَّنْ يَفْقَهُ أَمْرَ الدَّعْوَةِ وَمِمَّنْ يَتَّصَفَ بِالحِلْمِ وَالصَّبرِ عَلَى إِخْوَانِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [آل عِمْرَان : ١٥٩] وَلَا يَنْبَغِ أَنْ يَكِلَ أَهْلُ السُّنَّةِ أَمْرَهُمْ إِلَى مَنْ لَا يُحْسِنُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُسَبِّبُ فَشَلَ دَعْوَتِهِمْ وَهَذَا مُجَرَّبٌ وَانْظُرُوْا إِلَى مَا حَصَلَ لِلْدَّعْوَةِ فِيْ بَيْحَانَ سَنَوَاتٍ كَثِيْرَةٍ وَالدُّعَاةُ يَتَعَاقَبُوْنَ عَلَى ذَلِكَ المَرْكِزِ فِيْ تَلْكَ البَلْدَةِ وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ المَرْكِزِ وَالدَّاعِيَةِ فِيْ أَيْدِي بَعْضِ العَوَامِ يُسَيِّرُنَهُمْ بِأَهْوَائِهِمْ ضَاعَ المَرْكِزُ وَضَاعَ أَكْثَرُ الدُّعَاةِ الَّذِيْنَ نَزَلُوا فِيْهِ؛ وَنَحْنُ فِيْ هَذِهِ البَلْدَةِ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَدْعُوَا إِلَى اللهِ وَأَنْ نَتَعَاوَنَ عَلَى أَمْرِ دَعْوَتِنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ الدَّعْوَةَ لَا تَقُوْمُ إِلَا بِالتَّعَاوُنِ وَأَنَّ الوَاحِدَ مِنَّا لَا يَكُوْنُ إِلَّا بِأَخِيْهِ فَيَنْبَغِيْ أَنْ نَجْتَمِعَ عَلَى أَمْرِ الدَّعْوَةِ وَنَجْعَلَ مِنْ يُنَظِّمُ أَمْرَ خُرُوجِنَا لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى اللهِ وَأَنْ نَتَحَرَّكَ فِيْ إِيْصَالِ هَذَا الخَيْرِ إِلَى النَّاسِ وَلَا نَتْرُكْ أَهْلَ البَاطِلِ يَعْبَثُونَ فِيْ عُقُولِ المُسْلِمِينَ وَنَحْنُ نَسْتَطِيْعُ أَنْ نَدْفَعَ الشَّرَّ أَوْ نُخَفِّفَ مِنْهُ عَن أبي سعيدٍ الخدريِّ عَنْ رَسُولِ

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فبقلبه وَذَلِكَ أَضْعَف الْإِيمَان» . رَوَاهُ مُسلم وَإِذَا كَانَ أَهْلُ البَاطِلِ يَتعَاوَنُوْنَ عَلَى نَشْرِ بَاطِلِهِمْ فَنَحْنُ أَهْلُ الحَقِّ مِنْ بَابٍ أَوْلَى .

* وَلَا يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِنَا هَذَا أَنَّنَا نُقَرِّرُ مَنْهَجَ جَمَاعَةِ التَّبْلِيْغِ الَّذِيْ يُبِيْحُ لَهُمْ الإِمَارَةَ فِيْ الحَضَرِ نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الضَّلَالِ فَإِنَّهُ لَا إِمَارَةَ دُوْنِ الإِمَارَةِ العَامَّةِ لِلْمُسْلِمِيْنَ إِلَّا فِيْ السَّفَرِ .

-وَلَا نُقَرِّرُ مَنْهَجَ التَّصَوفِ القَائِلُ: أَنَّ طَالِبَ العِلْمِ بِيْنَ يَدِي شَيْخِهِ كَالمَيِّتِ بِيْنَ يَدِي مُغَسِّلِهِ يُقَلِّبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ نَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ الزَّيْغِ.

-وَلَا نُقَرِّرُ نِظَامَ العَسْكَرِةِ القَائِل: الجِنْدِيَّةُ طَاعَةٌ عَمْيَاءُ؛ وَالقَائِلُ: نَفِّذْ ثُمَّ نَاقِشْ؛ نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَدْعُوَ إِلَى تَقْلِيْدِ مَنْ قَلَّدَ الأَعْدَاءَ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الإِخْوَةِ يُحِبُّ الفَنْدَمَةَ وَالتَّأَمُّرَ عَلَى إِخْوَانِهِ وَيُحِبُّ أَنْ لَا يَتَحَرَّكَ أَخوهُ إِلَّا فِيْ نَطَاقِ مَا يَهْوَاهُ وَأَنْ يُعَادِيَ مَنْ عَادَاهُ وَيُوَالِيْ مِنْ وَالَاهُ؛ قَبِيْلَةٌ كَمَا يُقَالُونَ؛ وَإِنْ شِئتَ فَقُلْ عَلَى مَذَهَبِ القَائِلِ :

وهَـلْ أَنَـا إلاّ مِـنْ غَزِيّـةِ إنْ غَـوَتْ * غَوَيْـتُ وإنْ تَرْشُـدْ غَزِيّـةُ أَرْشُـدِ**

وَعَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ الجَاهِلِي أَيْضًا:

لا يسـألونَ أخـاهمْ حـينَ ينـدُبهـمْ * فِي النائبـاتِ علـى مـا قـالَ بُرهانـا**

-أَبَدًا إِنَّمَا نَقْصُدُ مَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلُ مِنْ ضَبْطِ أُمُورِنَا وَالتَّعَاوِنَ عَلَى نَشْرِ الخَيْرِ لِلنَّاسِ

قَالَ الْأَفْوَهُ الْأَوْدِيُّ:

تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلُحَتْ *** فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالْجُهَّالِ تَنْقَادُ
لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ *** وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا
إِذَا تَوَلَّى سَرَاةُ النَّاسِ أَمْرَهُمُ *** نَمَا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ وَازْدَادُوا

وَالسَّرَاةُ السَّادَةُ وَالسَّيِّدُ مَنْ سَادَ قَوْمَهُ وَلَا سَادَةَ إِذَا سَادَ الْجُهَّالُ أَيْ لَا تَصْلُحُ أُمُورُهُمْ فِي حَالِ كَوْنِهِمْ فَوْضَى، أَيْ مُتَسَاوِينَ فِي الدَّرَجَةِ لَا أَشْرَافَ لَهُمْ يَأْمُرُونَهُمْ وَيَنْهَوْنَهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ رَئِيسٌ يَقُودُهُمْ فَيَصْدُرُوا عَنْ أَمْرِهِ وَيَنْتَهُوا إِلَى رَأْيِهِ .

الإِعْرَاضُ عِنِ المُعْرِضِ

* وَقَدْ أَمَرَ تَعَالَى بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُتَوَلِّينَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَالَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ غَيْرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النَّجم : ٢٩] ، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا} أَيْ: أعرِضْ عَنِ الَّذِي أعرَضَ عَنِ الْحَقِّ وَاهْجُرْهُ. وَقَوْلُهُ: {وَلَمْ يُرِدْ إِلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} أَيْ: وَإِنَّمَا أَكْثَرُ هَمِّهِ وَمَبْلَغُ عِلْمِهِ الدُّنْيَا، فَذَاكَ هُوَ غَايَةُ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ. وَلِذَلِكَ قَالَ: {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} أَيْ: طَلَبُ الدُّنْيَا وَالسَّعْيُ لَهَا هُوَ غَايَةُ مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ.

"اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ".

-وَأَمَرَ تَعَالَى بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُكَذِبِيْنَ عِنْدَ تَكْذِيبِهِمْ وَجِدَالِهِمْ الْبَاطِلِ فَقَالَ

تَعَالَى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [يُونُس : ٤١] -وَأَمَرَ تَعَالَى بِالثَّبَاتِ عَلَى دِيْنِهِ وَالإِعْرَاضِ عِنْ المُشْرِكِيْنَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأَنْعَام : ١٠٦] **قَالَ ابْنُ كَثِيْرٍ**: يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا لِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِمَنِ اتَّبع طَرِيقَتَهُ: {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} أَيِ: اقْتَدِ بِهِ، وَاقْتَفِ أَثَرَهُ، وَاعْمَلْ بِهِ؛ فَإِنَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَة فِيهِ؛ لِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} [الأنعام: ١٠٦] أَيِ: اعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ، وَاحْتَمِلْ أَذَاهُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لَكَ وَيَنْصُرَكَ وَيُظْفِرَكَ عَلَيْهِمْ .

-وَهَلْ هَذَا الأَمْرُ بِالإِعْرَاضِ عَنْ المُشْرِكِ مُحْكَمٌ أَوْ أَنَّهُ مِنْسُوْخٌ؟ **قَالَ الإِمَامُ الشِّنْقِطِيُّ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى**: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجْر : ٩٤] فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَوْلَانِ مَعْرُوفَانِ لِلْعُلَمَاءِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ مَعْنَى: وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، أَيْ: لَا تُبَالِ بِتَكْذِيبِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ، وَلَا يَصْعُبُ عَلَيْكَ ذَلِكَ. فَاللهُ حَافِظُكَ مِنْهُمْ.

وَالْآيَةُ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ مَعْنَاهَا: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) أَيْ: بَلِّغْ رِسَالَةَ رَبِّكَ، (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) ، أَيْ: لَا تُبَالِ بِهِمْ وَلَا تَخْشَهُمْ. وَهَذَا الْمَعْنَى كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المَائِدَة : ٦٧] الْوَجْهُ الثَّانِي وَهُوَ الظَّاهِرُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ مَأْمُورًا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ بِآيَاتِ السَّيْفِ. وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٦﴾ [الأَنْعَام : ١٠٦] ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾ [السَّجْدَة : ٣٠] ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩﴾ [النَّجْم : ٢٩] ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ﴾ [الأَحْزَاب : ٤٨] ، أَنْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

* وَهلْ الأَمْرُ بِالإِعْرَاضِ يُعَارَ ضُ الدَّعْوَةَ إِلَىْ اللهِ أَمْ أَنَّ هَذَا الإِعْرَاضَ يَكُوْنُ لِمَنْ أَعْرَضَ عَنْ الحَقِّ بَعْدُ دَعْوَتِهِ وَبَيَانَ الحَقَّ لَهُ؟! قَدْ سَمِعْتَ قَوْلَ صَاحِبِ أَضْواءِ: "وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ بِطَرِيقَيْنِ: طَرِيقِ لِينٍ، وَطَرِيقِ قَسْوَةٍ، أَمَّا طَرِيقُ اللِّينِ فَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَإِيضَاحُ الْأَدِلَّةِ فِي أَحْسَنِ أُسْلُوبٍ وَأَلْطَفِهِ، فَإِنْ نَجَحَتْ هَذِهِ الطَّرِيقُ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ، وَإِنْ لَمْ تَنْجَحْ تَعَيَّنَتْ طَرِيقُ الْقَسْوَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ، وَتُقَامَ حُدُودُهُ، وَتُمْتَثَلَ أَوَامِرُهُ، وَتُجْتَنَبَ نَوَاهِيهِ، وَإِلَى هَذِهِ الْإِشَارَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢٥﴾ [الحَدِيد : ٢٥] فَفِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى أَعْمَالِ السَّيْفِ بَعْدَ

إِقَامَةِ الْحُجَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَنْفَعِ الْكُتُبُ تَعَيَّنَتِ الْكَتَائِبُ، وَاللهُ تَعَالَى قَدْ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ" أَنْتَهَى .

فَنَحْنُ نَدْعُوْا إِلَى اللهِ بِرِفْقٍ وَلِيْنٍ فَمَنْ قَبِلَ مِنَّا دَعْوَةَ اللهِ نَفِعَ نَفْسَهُ وَمَنْ أَبَى وَتَولَّى فَاللهُ يَقُوْلُ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغَاشِيَة : ٢١ - ٢٢] وَيَقُوْلُ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾﴾ [النَّجْم : ٢٩] ، وَسَمِعْتَ قَوْلَ ابْنِ كَثِيْرٍ فِيْ الآيَةِ: أَيْ: أعرِضْ عَنِ الَّذِي أعرَضَ عَنِ الْحَقِّ وَاهْجُرْهُ أَنْتَهَى .

وَهٰذَا الَّذِيْ لَنَا وَأَمَّا الدَّعْوَةُ بِشِدَّةٍ وَقَسْوَةٍ فَهَذِهِ لِلسُّلْطَانِ؛ مَتَى مَا رَأَى أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الجِهَادِ فِيْ سَبِيلِ اللهِ لِنَشْرِ دِيْنِ اللهِ وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وِإِنْ اسْتَنْفَرَنَا لِذَلِكَ فَيَجِبُ عَلَيْنَا طَاعَتُهُ فِيْ طَاعَةِ اللهِ قَالَ تَعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النِّسَاء : ٥٩] وَقَالَ تَعَالى: ﴿ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [التَّوْبَة : ٣٨ - ٣٩] .

حُكْمُ الهَجْرِ قَبْلَ الدَّعْوَةِ

أَمَّا الهَجْرُ قَبْل إِقَامَةِ الحُجَّةِ فَهَجْرٌ بِغَيْرِ حُجَّةٍ فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ عَدْلِ اللهِ فِي خُلُقِهِ: أَنَّه مَا أَهْلَكَ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، وَالْإِنْذَارِ لَهُمْ وَبِعْثَةِ الرُّسُلِ

إِلَيْهِمْ وَقِيَامِ الْحُجَجِ عَلَيْهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسْرَاء : ١٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القَصَص : ٥٩] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء : ٢٠٨] ، وَأَمَر تَعَالَى رَسُولَهُ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بِإِبْلَاغِ مَا بَعَثَهُ بِهِ وَبِإِنْفَاذِهِ والصَّدع بِهِ وَمُوَاجَهَةِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا يَلْتَفِتْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوهُ عَنْ آيَاتِ اللهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجْر : ٩٤] أَيْ: بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّوكَ عَنْ آيَاتِ اللهِ. ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القَلَم : ٩] وَلَا تخفْهم؛ فَإِنَّ اللهَ كَافِيكَ إِيَّاهُمْ، وَحَافِظُكَ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المَائِدَة : ٦٧] ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحِجْر : ٩٤] أَيْ: لَا تُبَالِ بِتَكْذِيبِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ، وَلَا يَصْعُبُ عَلَيْكَ ذَلِكَ. فَاللهُ حَافِظُكَ مِنْهُمْ .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنكم تقرؤونَ هذهِ الْآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المَائِدَة : ١٠٥] فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ

النَّاسَ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ» . رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ. وَفِي رِوَايَةِ أبي دَاوُد: «إِذا رَأَوْا الظَّالِم فَلم يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ» . وَفِي أُخْرَى لَهُ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيِّرُونَ إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ» . وَفِي أُخْرَى لَهُ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَكْثَرُ مِمَّن يعمله» وَفِي أُخْرَى: «يَا أَيهَا النَّاس انكم تقرأون هَذِه الْآيَة وتضعوها عَلَى غَيْرِ مَا وَضَعَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المَائِدَة : ١٠٥] إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ»

الهَجْرُ عِلَاجٌ لَا يُصْرَفُ إِلَّا مِنْ طَبِيْبٍ

الهَجْرُ نُوْعٌ مِنَ العلَاجِ فَيَنْبَغِيْ أَنْ لَا يُصْرَفَ إِلَّا مِنْ طَبِيْبٍ عَرَفَ المَرَضَ وَعَلِمَ مَا يُنَاسِبَهُ مِنْ الدَّوَاءِ فَيَنْبَغِيْ أَنْ يَعْلَمَ الدَّاعِيَةُ إِلَى اللهِ: إِنَّ تَرْكَ السَّلَامِ ابْتِدَاءً وَرَداً عَلَى مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا حَتَّى يَتُوْبَ مِنْهُ كَانَ مِنْ هَدِي رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللُه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَمِلَ بِهِ الصَّحَابَةُ، وَالتَّابِعُونَ، والأَئِمَّةُ المَجْتَهِدُوْنَ، وَلَنَا فِيْ رَسُوْلِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَجَرَ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَصَاحِبَيْهِ وَكَانَا مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، لَمَّا تَخَلَّفُوْا عَنْ الغَزْوِ مَعَهُ عَامَ تَبُوْكَ، مِنْ الكَلَامِ

وَالسَّلَامِ، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةِ فِيْ مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٠٣-٢٠٧) :

الْهَجْرُ الشَّرْعِيُّ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا بِمَعْنَى التَّرْكِ لِلْمُنْكَرَاتِ. **وَالثَّانِي** بِمَعْنَى الْعُقُوبَةِ عَلَيْهَا.

فَالْأَوَّلُ: هُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأَنْعَام : ٦٨] وقَوْله تَعَالَى ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [النِّسَاء : ١٤٠] فَهَذَا يُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَا يَشْهَدُ الْمُنْكَرَاتِ لِغَيْرِ حَاجَةٍ مِثْلَ قَوْمٍ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ يَجْلِسُ عِنْدَهُمْ. وَقَوْمٌ دُعُوا إلَى وَلِيمَةٍ فِيهَا خَمْرٌ وَزَمْرٌ لَا يُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ. بِخِلَافِ مَنْ حَضَرَ عِنْدَهُمْ لِلْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ أَوْ حَضَرَ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ. وَلِهَذَا يُقَالُ: حَاضِرُ الْمُنْكَرِ كَفَاعِلِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: {مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ يُشْرَبُ عَلَيْهَا الْخَمْرُ} . وَهَذَا الْهَجْرُ مِنْ جِنْسِ هَجْرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ عَنْ فِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ. كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {الْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ} . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْهِجْرَةُ مِنْ دَارِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ إلَى دَارِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ. فَإِنَّهُ هَجْرٌ لِلْمَقَامِ بَيْنَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ لَا يُمَكِّنُونَهُ مِنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَمِنْ هَذَا قَوْله تَعَالَى {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} . النَّوْعُ الثَّانِي: الْهَجْرُ عَلَى وَجْهِ التَّأْدِيبِ وَهُوَ هَجْرُ مَنْ يُظْهِرُ

الْمُنْكَرَاتِ يُهْجَرُ حَتَّى يَتُوبَ مِنْهَا كَمَا {هَجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ: الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَوْبَتَهُمْ} حِينَ ظَهَرَ مِنْهُمْ تَرْكُ الْجِهَادِ الْمُتَعَيَّنِ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ عُذْرٍ وَلَمْ يَهْجُرْ مَنْ أَظْهَرَ الْخَيْرَ وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا فَهُنَا الْهَجْرُ هُوَ بِمَنْزِلَةِ التَّعْزِيرِ. وَالتَّعْزِيرُ يَكُونُ لِمَنْ ظَهَرَ مِنْهُ تَرْكُ الْوَاجِبَاتِ وَفِعْلُ الْمُحَرَّمَاتِ كَتَارِكِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالتَّظَاهُرِ بِالْمَظَالِمِ وَالْفَوَاحِشِ وَالدَّاعِي إلَى الْبِدَعِ الْمُخَالِفَةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ الَّتِي ظَهَرَ أَنَّهَا بِدَعٌ. وَهَذَا حَقِيقَةُ قَوْلِ مَنْ قَالَ مِنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ: إنَّ الدُّعَاةَ إلَى الْبِدَعِ لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ وَلَا يُصَلَّى خَلْفَهُمْ وَلَا يُؤْخَذُ عَنْهُمْ الْعِلْمُ وَلَا يُنَاكَحُونَ. فَهَذِهِ عُقُوبَةٌ لَهُمْ حَتَّى يَنْتَهُوا؛ وَلِهَذَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الدَّاعِيَةِ وَغَيْرِ الدَّاعِيَةِ؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَةَ أَظْهَرَ الْمُنْكَرَاتِ فَاسْتَحَقَّ الْعُقُوبَةَ بِخِلَافِ الْكَاتِمِ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَرًّا مِنْ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ عَلَانِيَتَهُمْ وَيَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللهِ مَعَ عِلْمِهِ بِحَالِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ. وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: {أَنَّ الْمَعْصِيَةَ إذَا خَفِيَتْ لَمْ تَضُرَّ إلَّا صَاحِبَهَا وَلَكِنْ إذَا أُعْلِنَتْ فَلَمْ تُنْكَرْ ضَرَّتْ الْعَامَّةَ} وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: {إنَّ النَّاسَ إذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابِ مِنْهُ} . فَالْمُنْكَرَاتُ الظَّاهِرَةُ يَجِبُ إنْكَارُهَا؛ بِخِلَافِ الْبَاطِنَةِ فَإِنَّ عُقُوبَتَهَا عَلَى صَاحِبِهَا خَاصَّةً. وَهَذَا الْهَجْرُ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْهَاجِرِينَ فِي قُوَّتِهِمْ وَضَعْفِهِمْ وَقِلَّتِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ زَجْرُ الْمَهْجُورِ وَتَأْدِيبُهُ وَرُجُوعُ الْعَامَّةِ عَنْ مِثْلِ حَالِهِ. فَإِنْ كَانَتْ الْمَصْلَحَةُ فِي ذَلِكَ رَاجِحَةً بِحَيْثُ يُفْضِي هَجْرُهُ إلَى ضَعْفِ الشَّرِّ

وَخِفْيَتِهِ كَانَ مَشْرُوعًا. وَإِنْ كَانَ لَا الْمَهْجُورُ وَلَا غَيْرُهُ يَرْتَدِعُ بِذَلِكَ بَلْ يُزِيدُ الشَّرَّ وَالْهَاجِرُ ضَعِيفٌ بِحَيْثُ يَكُونُ مَفْسَدَةُ ذَلِكَ رَاجِحَةً عَلَى مَصْلَحَتِهِ لَمْ يَشْرَعْ الْهَجْرُ؛ بَلْ يَكُونُ التَّأْلِيفُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعَ مِنْ الْهَجْرِ. وَالْهَجْرُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْفَعُ مِنْ التَّأْلِيفِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَأَلَّفُ قَوْمًا وَيَهْجُرُ آخَرِينَ. كَمَا أَنَّ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِّفُوا كَانُوا خَيْرًا مِنْ أَكْثَرِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ لَمَّا كَانَ أُولَئِكَ كَانُوا سَادَةً مُطَاعِينَ فِي عَشَائِرِهِمْ فَكَانَتْ الْمَصْلَحَةُ الدِّينِيَّةُ فِي تَأْلِيفِ قُلُوبِهِمْ وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنُونَ سِوَاهُمْ كَثِيرٌ فَكَانَ فِي هَجْرِهِمْ عِزُّ الدِّينِ وَتَطْهِيرُهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَهَذَا كَمَا أَنَّ الْمَشْرُوعَ فِي الْعَدُوِّ الْقِتَالُ تَارَةً وَالْمُهَادَنَةُ تَارَةً وَأَخْذُ الْجِزْيَةِ تَارَةً كُلُّ ذَلِكَ بِحَسَبِ الْأَحْوَالِ وَالْمَصَالِحِ. أَنْتَهَى مَحِلِّ الغَرَضِ مِنْ كَلَامِهِ وَمَنْ أَرَادَ إِيْضَاحًا أَكْثَرَ فَلْيُرْجِعْ المَصْدَرَ المَذْكُوْرَ .

تَرْكُ الدَّعْوَةِ ضَلَالٌ

-فَقَدْ دَلَّتْ الأَدِلَّةُ عَلَىْ أَنَّ مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ لَمْ يَهْتَدِ، وَمِمَّنْ قَالَ بِهَذَا حُذَيْفَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُمَا الْأَلُوسِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» ، وَابْنُ جَرِيرٍ، وَنَقَلَهُ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَبِي عُبَيْدٍ الْقَاسِمِ بْنِ سَلَّامٍ، وَنَقَلَ نَحْوَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمُ ابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ مَسْعُودٍ.

فَمِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المَائِدَة : ١٠٥] ، أَيْ: أَمَرْتُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ

مِنْكُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَدْخُلُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ فِي الْمُرَادِ بِالِاهْتِدَاءِ فِي الْآيَةِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ جِدًّا وَلَا يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْهُ لِمُنْصِفٍ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَارِكَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ غَيْرُ مُهْتَدٍ، أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَقْسَمَ أَنَّهُ فِي خُسْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العَصْر : ١ - ٣] ، فَالْحَقُّ وُجُوبُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبَعْدَ أَدَاءِ الْوَاجِبِ لَا يَضُرُّ الْآمِرَ ضَلَالُ مَنْ ضَلَّ، وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَاتُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٥﴾ [الأَنفَال : ٢٥] ، وَالْأَحَادِيثُ عَلَى أَنَّ النَّاسَ إِنْ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ يَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، عَمَّهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ.

فَمِنْ ذَلِكَ مَا خَرَّجَهُ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيحَيْهِمَا» عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ الْحَكَمِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا مَرْعُوبًا يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ ، قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ،

فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا، وَهَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا» ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ.

وَتَقَدَّمَ قَرِيبًا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: «إِنْ رَأَى النَّاسُ الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ» ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ بِأَسَانِيدَ صَحِيحَةٍ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأَدِلَّةِ.

الصَّبْرُ عَلَى الجَاهِلِ وَالرِّفْقُ بِهِ

ثُمَّ لِنَعْلَمَ أَنَّهُ يَنْبَغِيْ عَلَى الدَّاعِي إِلَى اللهِ الصَّبْرُ وَخَاصَّةً عَلَى عَوَامِّ النَاسِ فَإِنَّهُمْ يَجْهَلُوْنَ أَمْرَ دِيْنِهِمْ وَمَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ؛ وَأَيْضًا هُمْ رَأْسُ مَالِنَا وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ تَعَالَى بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الجَاهِلِ وَأَنْ يُعَامَلَ بِاللِّينِ، وَأَخْذِ الْعَفْوِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ جَهْلِهِ وَإِسَاءَتِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأَعْرَاف : ١٩٩ - ٢٠٠] **قَالَ الإِمَامُ الشِّنْقِيطِيُّ عِنْدَ هَذِهِ الآيَةِ**: بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَامَلَ بِهِ الْجَهَلَةُ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ. فَبَيَّنَ أَنَّ شَيْطَانَ

الْإِنْسِ يُعَامَلُ بِاللِّينِ، وَأَخْذِ الْعَفْوِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ جَهْلِهِ وَإِسَاءَتِهِ. وَأَنَّ شَيْطَانَ الْجِنِّ لَا مَنْجَى مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْهُ، قَالَ فِي الْأَوَّلِ: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]، وَقَالَ فِي الثَّانِي: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}[الأعراف: ٢٠٠]، وَبَيَّنَ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا فِي مَوْضِعَيْنِ آخَرَيْنِ.

أَحَدُهُمَا: فِي سُورَةِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، قَالَ فِيهِ فِي شَيْطَانِ الْإِنْسِ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المُؤْمِنُون : ٩٦] ، وَقَالَ فِي الْآخَرِ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾ [المُؤْمِنُون : ٩٧] وَالثَّانِي: فِي حم «السَّجْدَةِ» قَالَ فِيهِ فِي شَيْطَانِ الْإِنْسِ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلَت : ٣٤] ، وَزَادَ هُنَا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُعْطَاهُ كُلُّ النَّاسِ، بَلْ لَا يُعْطِيهِ اللهُ إِلَّا لِذِي الْحَظِّ الْكَبِيرِ وَالْبَخْتِ الْعَظِيمِ عِنْدَهُ فَقَالَ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فُصِّلَت : ٣٥] ، ثُمَّ قَالَ فِي شَيْطَانِ الْجِنِّ: {﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فُصِّلَت : ٣٥] ، أهـ .

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الآيَاتِ الثَلَاثِ: فَهَذِهِ ثَلَاثُ آيَاتٍ لَيْسَ لَهُنَّ رَابِعَةٌ فِي مَعْنَاهَا، وَهُوَ أَنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِمُصَانَعَةِ الْعَدُوِّ الْإِنْسِيِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، لِيَرُدَّهُ عَنْهُ طبعُهُ الطَّيب الْأَصْلِ إِلَى الْمُوَادَّةِ وَالْمُصَافَاةِ، وَيَأْمُرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنَ الْعَدُوِّ

الشَّيْطَانِيِّ لَا مَحَالَةَ؛ إِذْ لَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً وَلَا إِحْسَانًا وَلَا يَبْتَغِي غَيْرَ هَلَاكِ ابْنِ آدَمَ، لِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأَعْرَاف : ٢٧] وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فَاطِر : ٦] وَقَالَ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ٥٠﴾ [الكَهْف : ٥٠] ، وَقَدْ أَقْسَمَ لِلْوَالِدِ إِنَّهُ لَمِنَ النَّاصِحِينَ، وَكَذَبَ، فَكَيْفَ مُعَامَلَتُهُ لَنَا وَقَدْ قَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص : ٨٢ - ٨٣] .

إِذَنْ: فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يكفُّه عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَّا اللهُ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِمُصَانَعَةِ شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَمُدَارَاتِهِ بِإِسْدَاءِ الْجَمِيلِ إِلَيْهِ، لِيَرُدَّهُ طَبْعُهُ عمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَذَى، وَأَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجِنِّ لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ رَشْوَةً وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ جَمِيلٌ؛ لِأَنَّهُ شِرِّيرٌ بِالطَّبْعِ وَلَا يَكُفُّهُ عَنْكَ إِلَّا الَّذِي خَلَقَهُ .

فَاللهُ تَعَالَى يُرْشِدُ إِلَى مُعَامَلَةِ الْعَاصِي مِنَ الْإِنْسِ بِالْمَعْرُوفِ وَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَكُفُّهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّمَرُّدِ بِإِذْنِهِ تَعَالَى؛ وَلِهَذَا قَالَ: {فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} ثُمَّ يُرْشِدُ تَعَالَى إِلَى الِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ شَيْطَانِ الْجَانِّ، فَإِنَّهُ لَا يَكُفُّهُ عَنْكَ الْإِحْسَانُ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ هَلَاكَكَ وَدَمَارَكَ بِالْكُلِّيَّةِ، فإنه عدو مبين لك ولأبيك من قبلك .

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا سُلْطَانَ لَهُ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النَّحل : ٩٨ - ٩٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة : ١٠٢] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مَرْيَم : ٨٣] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مَرْيَم : ٨٣] فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ يَصْرِفْهُ عَنْكَ وَلَا يُغْضِبَنَّكَ الشَّيْطَانُ غَضَبٌ يَصُدُّكَ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَيَحْمِلُكَ عَلَى مُجَازَاتِهِمْ فَاسْتَجِرْ بِاللهِ مِنْ نَزْغِهِ إِنَّ اللهَ الَّذِي تَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ نَزْغِ الشَّيْطَانِ سَمِيعٌ لِجَهْلِ الْجَاهِلِ عَلَيْكَ، وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ نَزْغِهِ، وَلِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ خَلْقِهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، عَلِيمٌ بِمَا يُذْهِبُ عَنْكَ نَزْغَ الشَّيْطَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ خَلْقِهِ .

بَيَانُ شَيْءٍ مِنْ عُقُوْبَةِ المُعْرِضِ

وَأَخِيرًا لِنَعْلَمَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى جَمِيْعِ النَّاسِ الانْقِيَادُ لِشَرْعِ اللهِ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمْ مُخَالَفَةُ شَرْعِ اللهِ أَوْ الإِعْرَاضُ عَنْهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحَشْر : ٧] وَقَالَ تَعَالَى: {﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾ [الشُّورَى : ٤٧] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن

﴿تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النُّور : ٦٣] قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ كَمَا فِيْ كِتَابِهِ الصَّارِمُ المَسْلُوْلُ عَلَى شَاتِمِ الرَّسُوْلِ (صـ٥٦) .

قال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد: "نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ثلاثة وثلاثين موضعا ثم جعل يتلوا: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النُّور : ٦٣] وجعل يكررها ويقول: وما الفتنة؟ الشرك لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه فيهلكه وجعل يتلوا هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النِّسَاء : ٦٥] ". وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأَنفَال : ٢٤] وَلَا يَدْعُونَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا لِمَا يُحْيِينَا مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النَّجْم : ٣ - ٤] وَقَالَ الإِمَامُ الشِّنْقِيْطِيُّ فِيْ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن فِيْ تَفْسِيْرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكَهْف : ٥٧] قَالَ: " ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَظْلَمُ، أَيْ: أَكْثَرُ ظُلْمًا لِنَفْسِهِ

مِمَّنْ ذُكِّرَ، أَيْ: وُعِظَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، وَهِيَ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ {فَأَعْرَضَ عَنْهَا}، أَيْ: تَوَلَّى وَصَدَّ عَنْهَا.

وَإِنَّمَا قُلْنَا: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْآيَاتِ هَذَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ لِقَرِينَةِ تَذْكِيرِ الضَّمِيرِ الْعَائِدِ إِلَى الْآيَاتِ فِي قَوْلِهِ: أَنْ يَفْقَهُوهُ، أَيِ: الْقُرْآنَ الْمُعَبَّرَ عَنْهُ بِالْآيَاتِ، وَيُحْتَمَلُ شُمُولُ الْآيَاتِ لِلْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ، وَيَكُونُ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: أَنْ يَفْقَهُوهُ أَيْ: مَا ذُكِّرَ مِنَ الْآيَاتِ ... وَمَا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِنْ أَنَّ الْإِعْرَاضَ عَنِ التَّذْكِرَةِ بِآيَاتِ اللهِ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ، قَدْ زَادَ عَلَيْهِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ بَيَانَ أَشْيَاءَ مِنَ النَّتَائِجِ السَّيِّئَةِ، وَالْعَوَاقِبِ الْوَخِيمَةِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْإِعْرَاضِ عَنِ التَّذْكِرَةِ، فَمِنْ نَتَائِجِهِ السَّيِّئَةِ: مَا ذَكَرَهُ هُنَا مِنْ أَنَّ صَاحِبَهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ ظُلْمًا، وَمِنْ نَتَائِجِهِ السَّيِّئَةِ جَعْلُ الْأَكِنَّةِ عَلَى الْقُلُوبِ حَتَّى لَا تَفْقَهَ الْحَقَّ، وَعَدَمُ الِاهْتِدَاءِ أَبَدًا كَمَا قَالَ هُنَا مُبَيِّنًا بَعْضَ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْعَوَاقِبِ السَّيِّئَةِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [الكَهْف : ٥٧] ، وَمِنْهَا انْتِقَامُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا مِنَ الْمُعْرِضِ عَنِ التَّذْكِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السَّجْدَة : ٢٢] ، وَمِنْهَا كَوْنُ الْمُعْرِضِ كَالْحِمَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ [المُدَّثِّر : ٤٩ - ٥٠] ، وَمِنْهَا الْإِنْذَارُ بِصَاعِقَةٍ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فُصِّلَت : ١٣] الْآيَةَ ، وَمِنْهَا الْمَعِيشَةُ

الضَّنْكُ وَالْعَمَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه : ١٢٤] ، وَمِنْهَا سَلْكُهُ الْعَذَابَ الصَّعَدَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن : ١٧] ، وَمِنْهَا تَقْيِيضُ الْقُرَنَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزُّخرُف : ٣٦] ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النَّتَائِجِ السَّيِّئَةِ، وَالْعَوَاقِبِ الْوَخِيمَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْإِعْرَاضِ عَنِ التَّذْكِيرِ بِآيَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَقَدْ أَمَرَ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمُتَوَلِّي عَنْ ذِكْرِهِ، الْقَاصِرِ نَظَرُهُ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَبْلَغُهُ مِنَ الْعِلْمِ، فَلَا عِلْمَ عِنْدَهُ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي مَعَادِهِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النَّجم : ٢٩ - ٣٠] ، وَقَدْ نَهَى جَلَّ وَعَلَا عَنْ طَاعَةِ مِثْلِ ذَلِكَ الْمُتَوَلِّي عَنِ الذِّكْرِ الْغَافِلِ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكَهْف : ٢٨] ، أ هـ.

نَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمْ التَّوْفِيقَ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْجُرْجَانِيُّ :

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ وَإِنَّمَا ... رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا

أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ ... لا ينثني عنه ولا يتبدلُ

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ الْعِلْمِ إِنْ كَانَ كُلَّمَا ... بَدَا طَمِعَ صَيَّرْتُهُ لِي سُلَّمَا

إِذَا قِيلَ هَذَا مَنْهَلٌ قُلْتُ قَدْ أَرَى ... وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

وَلَـمْ أَبْتَـذِلْ فِي خِدْمَةِ الْعِلْـمِ مُهْجَتِي *** لِأَخْـدُمَ مَـنْ لَاقَيْـتُ لَكِـنْ لِأُخْـدَمَا
أَأَشْــقَى بِــهِ غَرْسًــا وَأَجْنِيــهِ ذِلَّــةً *** إِذَنْ فَاتِّبَـاعُ الْجَهْـلِ قَـدْ كَـانَ أَحْزَمَـا
وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الْعِلْـمِ صَـانُوهُ صَـانَهُمْ *** وَلَـوْ عَظَّمُـوهُ فِـي النُّفُـوسِ لَعُظِّمَـا
وَلَكِــنْ أَذَلُّــوهُ فَهَــانَ وَدَنَّسُــوا *** مُحَيَّــاهُ بِالْأَطْمَــاعِ حَتَّــى تَجَهَّمَــا

الفهارس

المحتويات

المقدمة الكتاب ٣

هذه هي المحاضرة مع بعض الإضافات ٤

المقدمةالمحاضرة ٥

نص المحاضرة مع بعض التعديلات ٦

مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ ٩

سُؤَالٌ وَجَوَابُهُ ١٥

حُكْمُ الدَّعْوَةِ إِلَىْ اللهِ ١٨

لَا يَجُوْزُ تَقْلِيْدُ مَنْ لَيْسَ بِحُجَّةٍ بِغَيْرِ حُجَّةٍ ٢٠

المُجَادَلَةُ بَالَّتِيْ هِيْ أَحْسَن ٢٦

تَنْبِيْهٌ ٣٥

الإِعْرَاضُ عِنِ المُعْرِضِ ٤٤

حُكْمُ الهَجْرِ قَبْلَ الدَّعْوَةِ ٤٧

الهَجْرُ عِلَاجٌ لَا يُصْرَفُ إِلَّا مِنْ طَبِيْبٍ ٤٩

تَرْكُ الدَّعْوَةِ ضَلَالٌ ٥٢

الصَّبْرُ عَلَى الجَاهِلِ وَالرِّفْقُ بِهِ ٥٤

بَيَانُ شَيْءٍ منْ عُقُوْبَةِ المُعْرِضِ ٥٧

الفهارس ٦٢